

فكرية شجرة



الرُّجُلُ
بِعيون أنثى

الرجل بعيون أنتى

فكرية شجرة

الطبعة الأولى
اسم الكتاب: الرجل بعيون أنثى
تأليف: فكرية شحرة
رقم الإيداع: 2022 / 14116
الترقيم الدولي: 978-977-86177-3-3

الشواهين للنشر والتوزيع



حقوق النشر محفوظة لدى المؤلف

هناك محباته حقيقية!

تلغي الواحدة منهن حقوقها الطبيعية من أجل الرجل.

تعيش من أجله وتموته من أجله وتسعى لمساعدته على حساب

سعادتها..

محباته لا يموت الحب في قلوبهن مهما ارتطمت هذا القلب بقسوة

المحبوب.

الأممات أصدق العاشقات ثم من تشبهن.

كَلَّ الْبَشَرُ مَا يَدْرُونَ
إِلَّا مَنْ أَنْجَبَهُ رَحْمَتَكَ،
وَمَنْ أَنْجَبَهُ قَلْبَكَ.

الأثني..

كُتبت هذا النص في مارس مدفوعة بالمناسبة، فمارس هو شهر المرأة بلا منازع؛ فيه يأتي الربيع والمرأة ربيع الحياة، وفيه يوم المرأة وعيد الأم وعيد الشجرة والأشجار أقرب المخلوقات شبهًا بالنساء.

حاولت أن أكتب تلك المشاعر المشتركة بين غالبية نساء الأرض بإنصاف للمرأة والرجل معًا، فكلاهما أحيانًا يعجز عن فهم الآخر.

المرأة كائن رقيق العاطفة تَرَبَّى منذ الطفولة على العطاء.. وهذه ميزة تحولت عند البعض إلى مشكلة حين واجه العطاء الإلغاء.

في داخل كل امرأة طفلة عنيدة لا تكبر أبدًا؛ ويمكن انتزاع أجمل ما في داخلها بالمرضاة فقط.

هي طفلة تَوَاقَة للعيش كملكة؛ معجونة بالمتعة والدلال؛ لكنها تصبح كأعنى الرجال صلابَةً حينَ تتحمل المسؤولية وتنال الثقة.

تجدها وهي طفلةٌ حنونَةٌ كأمٍ تعشق دُمَاها المُمزَّقة؛ تُخيط لها ثيابًا جديدة وإن تناثرت على جسد الدُمى جراح الزمن، وحين تصبح فتاة تحفظ بقصاصات ورق تحمل كلماتٍ حبٍ عذبةً وجدت في كتب قرأتها، وتحفظ قصائد غزل لم تُقَلِّ لها، وتظل تحلم بفارس يحقق كلَّ أحلامها؛ لترى كلماته البسيطة لها أجمل من كل الكلمات.

وحين تحب تستشهد حبًا ويصبح الرجل المختار هو محور كونها الخاص.

تطالب ذلك الحبيب ألا يرى سواها مثلما هي لا ترى له بديلاً، تتخيله أميرًا سيقاتل جيوش عينيه الزائغة ورغباته المتغيرة وإغواءات البدائل المتعددة والسهلة وتريده أن يحملها في قلبه كلَّ العمر.

تتملك الرجل ما إن تحبه وكأنه خُلق لها وحدها؛ وتسعى ألا تكون مجرد واحدة بل كل نساء الأرض، قد تبالغ حد التسلط وترى أي محاولة منه خيانة عظيمة.

تصنف المرأة الزواج الثاني للرجل خيانة وليس حقًا ربما بدافع الحب أو الحظ الذي جعلها الأولى فلو كانت الثانية لاختلفت النظرة.

وحين يموت الحب في حياتها تحتفظ بجزئته في قلبها وتوسع له ذات مكان الفقد الذي يزلزل كيائها وتحنط مشاعرها في داخلها.. سواها يبدأ من جديد وينسى الذكريات بطلوها ومرها.

أما هي فمخلوق يعشق اكتناز الذكريات الموحجة وتجد صعوبة في الانتقال من مرحلة إلى أخرى بسهولة.

الأنثى هذا المخلوق العجيب الذي يمكنه معرفة كل شيء إلا ماذا يريد!

يراودها ذات الحلم السريِّ الخفيِّ الذي تحسن مداراته!

بسيط، وصعب المنال، ونادر الحدوث؛ إنه قلب محب مخلص لها وحدها، وهذا لا يتأتى بطبيعة الحال، فالذي خلق فطرة المرأة في الاستئثار خلق قلب الرجل عاشقاً للجمال حد الاستكثار.

إنها نزعة فطرية عند الجنسين؛ أن تكبر وتكبر قاماتنا ونظل نحلم بشخص نكون ملء عينيه فقط.

لا ترغب المرأة في النهاية إلا بذلك الحيز من الكون؛ مهما بلغ شأنها تحن إلى فطرتها كسكن وأم للرجل.

قد تضحي في سبيل حب صادق بكل شيء، لكنها في سبيل كبريائها تضحي بهذا الحب.. فقد يصمد حب المرأة للرجل في وجه البعد وحتى الموت، لكنه لا يصمد في وجه الشك بوجود أخرى، يموت الحب بصمت واحترق.

والمرأة ترى بقلبها ما لا يرى الرجل بعقله، وقد تُعمي العاطفة رجلاً، لكنها تشد حواس المرأة لتصبح أبراج مراقبة ورصد وتحليل.

قلبها رادار عاطفة، يعرف متى يحرص الرجل عليها لأنه يحبها، ويعرف متى يحرص عليها لأنها تحبه؛ ولا يخطئ حدس امرأة منحت قلبها لرجل وفكرت فيه بعقلها وقلبها معاً.

المرأة كائن ثرثار هذه الملاحظة أصبحت مُسلّمة بفعل تكرارها، هي تحب الكلام في أدق التفاصيل وفي كل شيء يواجهها لكنها

تعصم بالصمت حين تعجز عن شرح مشاعرها ويعجز الرجل عن الإحساس بها.. حينها تفقد الأمان والطمأنينة معه.

أحمق ذلك الرجل الذي يظن أن امرأة ستظل كل العمر لاجئة في حبه دون أن يمنحها أمان الوطن.

تلجأ المرأة إلى البكاء غالبًا كأقوى معبرٍ لديها حين تتأثر أو تعجز عن الكلام، فتحرق دموعها في قلبها أشياء كثيرة وتطفئ في طريقها مشاعر كانت متوهجة، وتمحو من عينيها نظرات كانت محبة قبل أي شيء.

هناك نوع من الرجال تؤثر فيه دموعها وتوجعه، فيلجأ إلى الصمت فيخونها وجعًا بصمته أكثر ولا يوجع المرأة مثل صمت رجل تتمنى لو يتحدث ولا يثير حنقها حديث شخص كرجل تتمنى لو يصمت.

أحيانًا يكون الصمت هو الباب الأوسع لخسارة قلب امرأة، وأعظم خسائر الرجل امرأة كانت تحبه.

والنساء لا تجتمع على أمر كاجتماعهن على احتقار رجل عامل امرأة بنذالة لا تستحقها، وبقسوة لا يبررها سوى غياب الحب الذي يجعلها تحتمل؛ أو غيرة الحب التي تجعله لا يحتمل فيقسو عليها.

الغيرة داء النساء العضال وأجمل ما في الحب إلا أنه ككل شيء إذا زاد عن حده..

قد تحيل الغيرة حياة الأنثى والرجل إلى جحيم من التعاسة والشك.

لعل أسعد امرأة في الكون كانت حواء، فلم يكن هناك أنثى سواها كي تغار.

تكون المرأة مكتملة العقل ما لم تعشق فإذا أحببت نقص عقلها وأكتمل قلبها؛ فإذا لم توفق في حبها نقص الاثنان..

قلوب النساء حين تعشق تعمى أحياناً، وعلى القلوب العمياء ألا ترتاد المنحدرات الشاهقة للحب كي لا تتردى.

وكما أنه لا يلام الرجل إذا حنّ إلى الوحدة وعشق الانفراد بنفسه فقد خلق آدم وحيداً لا يسمع سوى لغته هو؛ لا تلام المرأة إذا اشتاقت إلى صدر آدمّ الحنون فقد خلقت منه أو سكنت فيه.

وأحمق الرجال من يهجر كي يؤدب..

ذلك لأنك تزوجت امرأة لا ينقصها الأدب كما تتخيل والخصام لفرض الهوية يسقطها مع الأيام ويسقط أشياء أخرى كثيرة كالود والاطمئنان.

يصبح الهجر فترة راحة محبوبة للأنثى من كمية النكد المحتملة من الرجل.

فالنكد لا يقتصر على النساء كما تؤكد المقولات المغرضة فالطبيعة الإنسانية مشتركة في أمور كثيرة بين الرجل والمرأة.

يقال إن المرأة لا تستطيع العيش بدون الرجل، نعم، ربما تكون كذلك لكن القائل أغفل جزءًا مهمًا هو أن المرأة لا تستطيع العيش من دون الرجل الذي تحب.

المرأة -حتى إن بلغت السبعين- لا شيء يقتلها كإهمال من تحبهم؛ فقلبها نبتة تموت بالإهمال، تبقى ذات الطفلة تعشق من يضحكها ويغدق عليها بالحنان والحب.

الرجل حين يقول للمرأة: أحتاجك، فهو حتمًا يفكر في خارطة الجسد بكل تضاريسه.

لكن المرأة حين تهتف: أحتاجك، فهذا يعني أن تفكيرها محصور في منطقة القلب تحديدًا.

تؤمن النساء أن الرجل يغدق الاهتمام على المرأة حتى يمتلك قلبها، فإذا امتلكه عاملها كبقية ممتلكاته وقد توضع في ركن الإهمال كجوهرة ثمينة.

أحيانًا يتقمص آدم دور الإله فيطرد حواء من جنة الحب ويحرم قدميها أن تطأ ترابها الأخضر، قد تذوي حواء ألمًا، لكن لا شيء سيستر عورات آدم.

تنثق كل أنثى أنها كامرأة الحجاج إن خسرت درهم حب لمن لا يستحق عوضها الله حبًا عظيمًا وقلبًا من ذهب.

حين يخرج الرجل من قلب المرأة يبقى في رأسها، ليس حباً إنما كراهية تعادل ذلك الحب؛ لتبدأ قصة العداء الشهير بين رجل وامرأة.

والرجال أشد مكرًا من النساء وإن كان كيدهن عظيم، فإذا اصطدم دهاء رجل بذكاء امرأة فلن ينجو أحدهما.

النساء الذكيات لا ينفعن عاشقات؛ غالبًا غير محبوبات. فذكاؤهن يقتل متعة الاستغناء في الحب، كما أن الرجل يخشى المرأة الذكية؛ ويكره تفوقها عليه في أي جانب؛ ولهذا تقوم الحروب الصامتة بينهما.

وأقسى الحروب الباردة عبر العصور تلك التي بين رجل وامرأة أشعل قنيلها الكبرياء.. فمن يعتز بكبريائه كثيرًا فسيكره أن تطحنه أقدام الحب وهي تمر.

تدمر الكبرياءُ جسورَ الود بمباركة الطرفين دائمًا، فكبرياء المرأة التي تجعلها تقول كلامًا جارحًا يفقدها الكثير، هي نفسها كبرياء الرجل التي تجعله يلجأ إلى الصمت فيفقد أكثر.

فالمرأة تتمنى الصراحة حد الوجع والرجل يتمنى الراحة حد الكذب.

وبما أن كلَّ خطوة نخطها تحتاج لنقلتين بساقين معًا، فلا أحد يتقدم خطوة وهو أعرج بساق واحدة إلا إذا قفز فوق كبريائه.

وهناك من يتعب كثيرًا وهو يبذل هذه الكبرياء! فتقدم خطوة ممن
تحب كي يقترب.

ليست كل النساء سواء.

هناك نساء لا يمكن أن تتعايش مع جنس الرجل أو يتعايش معها
إلا إذا كان جدارًا حقيقيًا.

تستند عليه حين تتعب، وترميه بكل ما في يديها حين تغضب؛
على ألا يغضب.

تخمشه بأظافرهما ولا يشعر، تشجب عليه كل إحباطاتها فيتسع
لها صدره ولا يرحل.

تصدده وتقذف في وجهه كل اتهاماتها وكلماتها الجارحة فيضمها
إليه أكثر، وفوق هذا هو يحميها ويحنو عليها.

لعل هذا النوع من النساء يشعر أن الذكورة صفة آذت روحها
فتراها في كل الرجال.

ليست كل النساء سواء في أن نقطة ضعفهن العاطفة، هناك من
تثير الخوف كرجل بلا قلب.

إنها تلك التي تترك كل شيء خلفها حتى قلبها ولا تلتفت إلى
الوراء.

إنها لا تشبه تلك المرأة التي ترحل مرارًا تاركة الرجل لتعود كل
مرة بذات الشغف،

إنها تشبه كثيرًا ذلك الرجل الذي قد يرحل مرة ولا يعود، وإذا عاد فقد رحل عنه ذاك الشغف.

إنها تلك التي تقرر مغادرة حياة رجل، فلا تلقي إنذارات كخطوط حمراء تدعوه لتجاوزها؛ حين تقرر سترحل فقط..

وتأخذ معها كل ما يدل على مرور أنثى في حياته وتغلق في وجهه كل النوافذ والأبواب التي قد توصل إليها.

وهناك نساء كجذوة نار..

يراها الرجل عن بعد فيتخيل دفنها وتخطفه من نفسه هالئها المضيئة!

تجذبه وهو الغارق في الصقيع والخيال كفراشة ليلية، ويجهل أنها امرأة من نار، تلسعه مرة وأخرى، وتكوي قلبه مرات.

تلك النار المشرقة ما عليك إلا أن ترقبها من بعيد فقط.

لا تقترب كثيرًا من امرأة من نار لا بد أن تلسع مهما كانت دافئة.

ويل لرجل دخل قلب امرأة من نار إما أن تحرقه أو يطفئها.

والمرأة قد تكون رجلا بكامل خشونته حتى تجد الرجل الذي يحولها إلى امرأة وأنثى.

وأجمل النساء..

تلك التي إن رأَت الرجل قد استعصم بجبل من العناد والكبرياء
نزلت سهلاً من الخضوع والتفهم كي لا تخسره.

امرأة لا تكسر كبرياء الرجل فقد لا يدوم حب رجل لامرأة ترغم
كبريائه كل مرة خوفاً على كبريائها.

أخيراً عزيزتي ..

حتى وإن كنتِ أنثى تفيض عذوبة؛ كوني في هذه الحياة رجلاً ما
استطعت إلى ذلك سبباً.

أحبي رجلاً يعاملك كطفلة له مدللة لا تكبر، وكأم له رؤوم لا
تُعصى، وكأخت له يخاف على عرضها.

فإن قال: أحبك، فهي تعني أنه رأى فيك شيئاً جميلاً وآخر غير
جميل فأحبهما معاً..

تعني أنه وجد فيك أمراً أعجبه وآخر لم يعجبه فتقبلهما بحب معاً.

كوني السيدة الأولى التي لن تترك لأي امرأة أخرى - قبلها أو
بعدها - أيّ ركن في قلب رجلها.

كوني نسخة أصلية في قلبه.. فمن يتخذك بديلاً فستمتلئ صفحات
حياته بالبدائل المتاحة.

لا تمنحي قلبك لرجل استحوذت على قلبه وجوارحه امرأة
أخرى، فلن تكوني سوى طلاء خارجي يحاول به سد ثقب قلبه،
لن يراك أنت سيراها فيك فقط.

وأنت عزيزي الرجل تذكر تلك الحقيقة المفزعة عن المرأة أنه
يمكن لكثير من النساء قتل إنسان في لحظة غضب أو غيرة ولا
يمكنهن قتل صرصور في أعنف حالاتهن.
لعلك تتفق معي الآن على أن الأنثى أجمل الكائنات.

أحياناً ينتابني الشك أن المرأة خُلقت من ضلع آدم كما يقال، وإنما
خُلقت من ضلع إبليس تحديداً؛ مكائدها الملائكية وأحياناً
الشيطانية كي تصل إلى ما تريد تقول ذلك.

كامرأة يخيفني غدر المرأة أكثر من غدر الرجل وأتجنب
استعداد امرأة أكثر من عداوة رجل!

ألا يقال إن المرأة عدو المرأة؟ ونلاحظ كثيراً في واقعنا أن
المرأة تساند الرجل أكثر مما تساند امرأة أخرى وكذلك العكس.

لا أنكر أنني ككثيرات من بنات جنسي لنا حيلنا الماكرة الصغيرة
أيضاً، لكنها ربما لا تكون ضد أحد وغالباً ما تكون كلها من أجل
أحد.

بالنسبة لي خطئي في الحياة أنني حال الغضب أندفع بكلمات لا
أستردها إلا عداوات لا هواة فيها؛ ولا أشد رعباً من عداوة
امرأة منتقمة.

دائمًا ما تحكمني التلقائية في علاقتي مع الآخرين مع خوف غريزي من ردود أفعالهم والخوف من جبروت الأنثى ومكرها أحمق.

ورغم أن سنوات عمري مرت بحصيلة من الصداقات الرائعة وبذكرى عداوات قليلة جدًا وعددٍ من المشاكل النسوية التي علمتني أن أبقى بعيدًا عن هذه النعومة المفترسة وأن أتجاهل وجودها كلما كشرت عن أنيابها مبتسمة..

إلا أنني مدينة لكل الصدمات المفاجئة التي جعلتني أنكمش داخلي وأفكر ألف مرة قبل أن أدخل معترك نسائي.

مدينة لهذا الخوف منذ الصغر الذي جعلني أعشق الانفراد والعزلة بعيدًا عن الابتسامات والمجاملات المزيفة، بل أغرق في التعاطف مع هذا الكائن الجبار والمظلوم دائمًا.

في الحقيقة نحن كائنات رائعة لكن مخيفة قليلاً؛ هذا التآجج في العاطفة سلبيًا أو إيجابيًا يخيف حتى المرأة نفسها من نفسها.

لهذا أعلن في النهاية ودائمًا انتمائي لصدر آدم الحنون؛ أحاول أن أنظر إليه بعينيه أيضًا كي ألتمس له العذر.

أن أضع نفسي في مكان الرجل وعليّ الاقتران بامرأة طوال حياتي ومراساتها والحرص على راحتها وسعادتها فهي السكن!

شعرت أن هذه المهمة من أشق الهموم التي يبتلى بها إنسان لو
أن الله لم يجعل المرأة سكناً ويهيئها بالعاطفة والجمال الذي تهفو
إليه نفس الرجل.

هذا الكتاب محاولة للحديث عن الأنثى من الداخل..

الأنثى ذلك المخلوق الجميل وكيف ينظر إلى الرجل.

كلما نشبت معارك الديوك حطموا القوارير الهشة على
الجران!

لن تنجو وجوههم من شظاياها البريئة..

وكل فريق ينبري للحفاظ على قدسية القارورة المحطمة.

(1)

أتساءل أحياناً منذ متى بدأت فكرة أن الأنتى مصدر كل الشرور؟

متى كان أول وأد لها في التراب؟ وكيف تشاركت كل ثقافات البشر على أنها مخلوق بميزات أقل؟

لا أتحدث عن نظرة الأديان، فقبل الدين كان الإنسان.

بل نظرة المجتمعات البشرية للمرأة كيف نشأت بهذا الشكل المتشابه في تصويرها مخلوقاً أقلّ رغم أنها خُلقت مع آدم في ذات الوقت؟

أم أنها فكرة خلقها من أجل آدم لذا صارت مخلوق أقل في نظر الرجل؟

فكرة أن المرأة خلقت من ضلع آدم وأنها ضلع أعوج يستمتع به على عوجه هي أول أفكار التجني على المرأة.

المرأة نفس مستقلة ليست ضلعاً أعوج من أحد (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون).

ربما هذه الفكرة محببة في كتاباتنا الأدبية لما فيها من حميمية التصاق المرأة بالرجل أو الدعابة كما ذكرت في مدخل حديثي.

أما النصوص الواردة في هذا الشأن فهي من باب دس المرويات في السنة النبوية.

هذه المرويات التي جعلت المرأة شيئاً أعوجَ في نظر الرجل، وشيئاً أقلَّ في نظر نفسها أولاً قبل غيرها.

لقد تناقلت الأجيال هذه الفكرة كحقيقة مُسلمٍ بها وصارت قناعة راسخة.

للأسف (هذا ما وجدنا عليه آباءنا) في تعاملهم مع الأنثى نتوارثه رجالاً ونساءً في عقل جمعي يهلك من يشذ عن المجتمع.

أقول رجالاً ونساءً، فحتى المرأة حين تصبح أما تتحول لخوفها على بناتها إلى ممثل لعقلية المجتمع أمام ابنتها وتستيقظ في لجة مخاوفها القديمة مخاوفها الجديدة ليتضاعف حرصها على بناتها.

أما حاملو قضايا المرأة من الرجال ودعاة المساواة هم آخر من نصدقهم فهم على الطرف الآخر من فكرة احترامها.

بنظري هم أسوأ ممن يضطهدونها خوفاً عليها أو منها فهؤلاء يرفعون شعار تحريرها من أجل استغلالها وتسليعها فقط.

الفتاة التي تسعى لتكسير الموروث من العادات والتقاليد أو التي تصادم بفجاجة نصوص الموروث الديني وتجاهه العالم

بأفعال متمرده قد تهلكها هي في نظر نفسها انطلقت في عملية استشهادية من أجل فكرة عظيمة هي حرية الوجود بكرامة؛ وفي نظر المجتمع فتاة مارقة بلا حياء؛ وفي نظر دعاة المساواة والحرية هي فريسة سهلة.

اختلاف المجتمعات بحسب رقيها العقلي المتدرج هو الذي يشجع الفتيات على مصادمة مجتمعاتهن وكسر العادات والتقاليد المتوارثة بخصوص المرأة؛ فمساحة الحرية التي تُعطى للفتاة تختلف من بيئة إلى أخرى.

كما أن لكل زمان عاداته وتقاليدته المكتسبة رغماً عن القديم والسائد وهذا ما نلاحظه بغض النظر عن صراخ المتباكين على العرف القديم.

الزمن والاحتكاك بالشعوب المختلفة يفرض سلوكاً معيشياً متجدداً في كل شيء.

ابتداءً من المظهر والسلوك وانتهاءً بالتعاطي مع كل جديد يطرأ على البيئة المنغلقة؛ فما كان محرماً بالأمس في نظر التقاليد صار اليوم من العادات الطبيعية.

إن الانفتاح على ثقافات الشعوب قد يسبب تشوهاً أخلاقياً داخل المجتمع الذي لا قواعد أخلاقية ثابتة فيه؛ لكننا كمجتمعات مسلمة في النهاية لدينا ثوابت دينية وأخلاقية هي معيار سلوكنا ومظهرنا بين المجتمعات الأخرى.

(2)

(حدث، رجل طور النسيان في قلبه امرأة..)

لا هو أخبرها أنه يحبها ولا هي فعله)

الحياء في الرجل يضاعف سحرَ الرجولة فيه بل هو تمام
الرجولة.

لا أعني بسحر الحياء احمرارَ خديه أو إسبال أهداب عينيه
كما يتبادر للذهن، فهذه منافسة أنثوية غير مقبولة وإنما
الحياء هو ذلك الترفع والشموخ عن الصغائر ومواضع
الخلل.

هو تلك الأفعال التي تشعرك بعظمة النفس وسموها عن
التفاهات وتغاضبها عن المؤثرات بانصراف القلب عنها قبل
العين.

الحياء فطرة لكنه يُربى في النفس أيضًا ليصبح سجيةً تُلزمك
بأقوالٍ وأفعالٍ تمثل شخصيتك.

والحياء مشتق من الحياة، والحياة مجموعة من أفعال
الصواب وترك الزلل.

وهل هناك أكثر جمالًا وسحرًا من رجل خُلقه الحياء عفّ
لسانه وقلبه عن خوض التفاهات؟

هل هناك أقوى تأثيرًا من رجل تثقن به حد الاطمئنان فأنت
تدركين أين تصل به أفعاله وجفاؤه؟ فالحياء يرده عن كل
قبيح!

أما حياء المرأة فهو إن زاد في جمالها إلا أنه جزء من
تكوينها الذي خلقها الله عليه ليهفو إليها قلب الرجل ويبادر
هو في إنشاء الرباط وتكوين العلاقات.

رغم أنه يمكن للأنتى أن تكون هي المبادرة في العلاقة إذا
مشت على استحياء بسيرة عاطرة وتعامل حيي مهيب يعلن
عن نفسه وفي قصة ابنة شعيب مثل.

بديهية في واقعنا: المرأة التي تغازل الرجل لن تحصل على
حبه واحترامه معًا أبدًا.

مطلوب من الرجل الجراءة والإقدام والمبادرة، ليست في
البذاءة والفحش وتناول الأعراض والتنازل عن الأخلاق،
فالرجل البذيء لا تثق فيه النساء أو أي شخص.

ينزع الرجل المرأة من قلبه إذا نزعت الحياء لكنها تظل
لعبته الجميلة بدعوى أن المرأة الجريئة تغنيه مشقة
غموضها حين تضع على طاولة الأخذ والرد رغباتها.

ويسقط الرجل من اهتمام المرأة بسقوط حيائه فمن ذهب
حياؤه فلن يُبقي على أحد أو على شيء.

يوصف الحياءُ بماء الوجه فإذا أُرقتْ ماءً وجهك مات
وجودك في نظر الآخرين، فالله جعل من الماء كل شيء
حي.

كل الحديث حول حياء النساء لا يختلف عليه الأسوياء لكن
ماذا عن الرجل الذي نزع الحياء علانية أو خفية؟!

أليس الحياء سجية النفس المترفة عن الدنيا والسقوط
ومانعًا لكل قبيح من قول وفعل؟!

الأفعال القبيحة المستترة تنزع حياءك في العلن فأنت تخفيها
خوفًا من الناس وليس حياء من الله، فلا عجب إذا ذهب
حياؤك أن يكثر بلاؤك.

(3)

أتعلمين متى تفقد المرأة أنوثتها؟

ما الذي ينتزع ميزتها كجنس ناعم وجميل ويحولها إلى كيان مشوه لا هي رجل ولا هي امرأة؟ متى تفقد الإحساس بذاتها من الداخل وتحشو هذا الداخل بترهات كثيرة تحت مسميات براءة؟

كقولهم إن المرأة كيان مستقل وإنها يمكن أن تكتفي بذاتها وكل تلك الترهات التي تخالف فطرتها.

أتعلمين كيف تنفطر هذه الفطرة وتتشتت كورم مصاب بالأم؟

فقط حين يتحول الأمان داخلها إلى خوف! حين ترفع عنها جدار أمانها لتواجه الحياة بمفردها..

حين لا تجد كتفا تسندها في الطريق.. حين تشتتهي الحديث ولا أحد يسمعها.

يكون ذلك حين لا تجد من يبتسم في وجهها كل صباح، حين لا تجد من يواسيها عند الحزن.

حين تفقد الاحتضان عند خوفها وتعبها فتتشبث بنفسها أكثر.

حين تحلم بكف يمسك كفها في طرق العمر الوعرة فتكتشف أنها تقبض يدها الأخرى.

حين تهفو نفسها لكلمة حنونة تدللها فيجاوبها الصمت، حين
تبتسم لمرأتها فقط.

حين تمضي مائلة الروح مهما بدت قامتها منتصبه فارعة؛
مكسورة القلب مهما رمت من قلوب حولها.

تدرجياً تتلاشي رغبتها أن تكون أنثى بحاجة إلى رجل..

تصبح رجلاً لنفسها؛ رجلاً قويا يسخر من كل المخاوف
والرغبات.

رجلاً يتحاشى الوقوع في الرقة والضعف فهذه خصال
النساء؛ رجلاً ساخرًا حادّ اللسان؛ قاسي القلب خشناً بلا
مبرر فهكذا الرجال في نظرها.

تصبح رجلاً تقف مع نفسها وتسد قلبها وتضم إليها بعثرتها
وتسير مع وحدتها التي تشبه رجلاً يحب الصمت والتأمل.

كل ذلك يحدث بسبب الرجل، حين تفتقد اهتمامه بها، حين
يترك الرجل متعة الاهتمام بالأنثى كتحفة ثمينة فيعاملها كندٍ
لا يستحق معاملة لينة.

يحملها في الحياة فوق طاقتها فتخشن طباعها.

وعندها لن يجد ذلك الكيان المنخفض الذي يعبر عليه كلما أراد؛ لن يجد ذلك الجدار الذي ينقض أمام الصعوبات فيحتاج إليه كمنقذ..

يدرك أنه لا مكان له في حياتها وأن اهتمامه لا يعني شيئاً لها فلا تهتم له.

عندها يبحث عن تبادل اهتماماً باهتمام.. يبحث عن شيء أفضل مما لديه.

إنها حكاية أشبه بقصة البيضة والدجاجة أيهما جاء أولاً؟!!

(4)

أتعلمين ماذا يعني أن رجلاً يتألم؟

أنت حين يستولي عليك الألم تعتقدينه وَقَفًا عليك فقط.

رغم أنك قد تتوجعين لكل من يتألم، إلا أنك تجحدين ألم ذلك الرجل الذي مسّك بوجع.

لا تدركين ألم الرجال كم يبدو صامتًا بدويّ يُخرس القلب فلا يبكي أمامك؛ عنيدًا في كبرياء؛ خانقًا كغاز مسمم يخترق كل أنسجة الروح ومسامات الشعور.

إنه لا يشبه ألمك حين تملئين الأسماع صراخًا وعويلًا وبكاءً..

لا يشبه حزنك فحزن النساء كقلوب النساء جميل.

لا يشبه حالك حين لا تطبقين فمك عن الشكوى والتذمر ولو برهة لالتقاط أنفاسك..

لا يشبه وضعك حين تجدين ألف مشجب تعلقين عليه انتكاساتك وإحباطك..

وكل دموعك التي تذرّفينها تمسح عن صدرك الضيق والقهر..

أما صدره فيصب فيه سيلاً من الدموع يمتصها بصمت
وكبت.

حزن الرجل لا يشبه حزنك، وألم الرجل لا يشبه ألمك.

ألم الرجال كالرجال قاسياً مسيطراً كجبلٍ يدكُ جبلاً.

على المرأة تصديق أن الرجل حين يبلغ المنتهى في حبه
لامرأة فإن حبه أصدق من حب امرأة لرجل بأضعاف
مضاعفة.. لهذا بلغ الحب لدى قيس وأمثاله حد الجنون.

المشكلة أن الذين يحبون بصدق حد المنتهى نادرون.

الرجال يتوقفون عند الدرجات الدنيا في مراتب الحب ولا
يتعداها إلا النادر منهم.

يخافون الألم حذرين وجبناء، قد تركوا لك العاطفة وعمقها
فأنت أجدد في التعامل مع الألم.

(5)

إنها الأنثى..

حتى وهي تُجهز على حب في حياتها وتسير في جنازته
وتدفنه في قلبها ما زالت غير مصدقة أنه مات في قلب
الرجل!

ما زالت تبحث عن أصابع غدر كانت السبب في قتله.. عن
أسباب أدت إلى وفاة غير طبيعية لحب كبير كان سيصمد
عمرًا طويلًا دون أن يهتَرَ لعواصف الخلافات.

فكيف مات؟ تسأل نفسها: من القاتل هنا؟

هي أم الحب؟ أم القاتل فلا بد أن يكون طرفًا ثالثًا.

تحاول كثيرًا أن تنفض الرماد عن جثة حب ماتت محترقة
ألمًا وشوقًا وحنينًا كالنصال.

تحاول أن تنفخ الروح في حب اختنق شدًا وجذبًا بين العناد
والكبرياء..

ليس أفسى على القلب من محاولة إنعاش حب لفظ أنفاسه في
الخصام.

نقص لبرودة الموت كيف أطفأ ذلك الرجل حرارة عاطفتها
ودفع حبها وكيف أشعل حرائق الغيرة والشك في عينيها
وحواسها ولا صدق يطفئها.

في اللحظات الأخيرة قبل الدفن ترتبك مصدومة أحقًا مات
كل هذا الحب؟

تستجدي الرجل اعترافًا أو تصريحًا ما، ربما في تلك
التفاصيل يتم الإنعاش.

لكنه ينكر ارتكاب الجريمة مثلها ويقيدها ضد مجهول، ربما
سوء تفاهم أو تباين في الفكر والرأي أو حتى لعبة كبرياء
تحولت تدريجيًا إلى جريمة قتل كاملة الأركان.

الكبرياء عدو الحب الماكر.

كم يزين لنا سحق الكثير في طريقه، ويراكم أضرحة الثقة
والصدق والأمان فيتحول الحب من بستانٍ مزهر إلى مقبرة
تكتظ بشواهد ضحايا الكبرياء من مشاعر لا تحتمل الذلّ.

ودائمًا كبرياء المرأة يقتلها وحدها، أمّا كبرياء الرجل
فيقتلها معًا.

وهي تتعثر في تشبيع جنمان حب عظيم تلتقط خيوط الإدانة،
وتعتصم بالصمت والصبر.. لقد قيل الكثير من الرثاء لهذا
الحب.

مهما كان دورها المشبوه في جريمة اغتيال الحب فهي على قناعة ببراءتها أمام جرائم الإهمال الجسيمة التي يرتكبها قلب الرجل.

ربما لأنها تقسو عن حب، وتهجر عن حب، وتقتل أحياناً عن حب.

تظل حتى آخر لحظة - وآخر لحظة هذه قد تمتد كل العمر- تنتظر أن يعود الرجل حاملاً زهور الحب في قلبه يأتي معترفاً بكل الحقائق التي تريدها هي لا تلك التي حدثت فعلاً.

معتذراً لها عن أخطائها وأخطائه، لتتحول في لحظة من حبيبة إلى أم تحتضن طيشه وجنونه وتغفر إهماله وتوحشها.

الأنثى: تضع الرجل قيد تهمة "عدم الحب" وتطالب كل يوم بأدلة وبراهين وعلامات تنفي هذه التهمة، ونادراً ما يحصل الرجل على صك براءة يدوم العمر.

لعل مشاكل الحياة الصعبة وكل أسئلة الكون المحيرة لن تشغل ذهن المرأة وقلبها كسؤال "هل يحبني حقاً؟"

في كل قصص الحب التي تنتهي بافتراق على حب كبير.. نتعجب كيف لاثنتين أحبباً بعضهما وصارت لهما شراكة

روحية جمعت بينهما كيف لهما أن يفترقا وفي قلب كلٍ
منهما حب للآخر.

ربما أحدهما لم يحب حقًا فاستسلم للاختلافات وتخلّى؛ ففي
نظره أيسر طرق الراحة هو الترك.

الاختلافات حد الخلافات تقتل الحب ولو ملأ الحب ما بين
السماء والأرض ولا نقاط تقارب أو تفاهم تسنده ستخنقه
الاختلافات بأسرع مما نما.

فالاختلافات تنبت بين اثنين كرؤوس الشياطين يغذيها أكبر
عدوين للحب: الكبرياء المفرطة وسوء الفهم المتراكم.

جداران أحدهما يقتل الكلام والآخر يحجب الرؤية.

ليظل سؤالان معلقان لا يستقران على إجابة: هل كان يعني؟
وهل كانت تعني؟

الجدار الذي يفصل بين اثنين ويراه أحدهما فقط لن يسقط
أبدًا.

فكيف لنبيض قلب أضعفه الحزن وخوف الخسارة أن يصل
صوته من خلف جدارين شاهقي القسوة من صلابة وغلظة.

وكلما ارتفع خوف الخسارة زاد ارتفاع منسوب سوء الفهم
وصار كل تصرف لا يعني سوى التخلي عن الحب ويعقبه
الانسحاب بصمت.

الانسحاب من حياة الآخر بضجيج لا يعني إلا عودة من
جديد أما الانسحاب بصمت كسير لا يعني إلا أنه الانسحاب
الأخير.

سيفترقان على قناعة أن كلاً منهما لم يعد في قلب الآخر؛
يفترقان بثقب هائل في الثقة يتسرب إليه الحزن فقط.

ودائماً الخاسر هو الأكثر حباً ووفاءً وصدقاً.

سينأخر شفاؤه من جرح وقد لا يشفى من خذلان أبداً.

(6)

"منذ زمن طويل لم أعد أتحدث لأحدكم أنني أحسن صنعًا
في كل شيء"

أنتم لا تعرفون كم أن هذا الأمر صعب جدًا على امرأة!

فالنساء يعشقن تذكير الجميع بكونهن رائعات.. يعشقن
الإسهاب في تصوير إنجازاتهن الخارقة في البيت ومع
الأولاد، في عملهن وتعاملهن الحصيف مع مواقف كانت
تستلزم العراك والحرب لكنهن كن غاية في الدعة والدمائة.

مهووسات في وصف تميزهن بصورة لا تكون إلا لامرأة
واحدة وكل واحدة تصر أنها هذه الواحدة دون غيرها.

المرأة تسكب حصيلتها من الثرثرة في أذن الرجل بالذات
دون شفقة أو رحمة بأعصابه الملولة؛ ليس انتظارًا ليقلدها
وسام المعجزة أو يثني على حظه الطفرة الذي أوقعه في
زوجة خارقة مثلها!

لا.. لا أبدًا.

المرأة تتحدث لساعات بإنجازاتها اليومية الطبيعية فقط
لمجرد أنها تعشق الحديث عن ذلك.

تحب كثيرًا أن تحصل على التقدير والامتنان ويكفيها أن يشعر الآخر أنها فعلاً مُرهقة وتفعل كل شيء دون كلل أو ملل.

يسعدها كثيرًا نظرة امتنان أو تربيئة حنانٍ دون حتى كلمة..

يسعدها كثيرًا أن يعلم من حولها ماذا صنعت وتصنع من أجلهم.

كم أنها مثالية تبذل روحها وصحتها في صمت (مشكوك في صمتها لأنها تتحدث لساعات وتختتم ثرثرتها بعبارة "خليني ساكئة أحسن")

لكن الإنجاز الحقيقي العظيم هو أن تصل امرأة لعدم الرغبة بقول كم أنها رائعة لأي شخص.

سيدة تظل طوال يومها في أعمال تستنزف طاقتها النفسية كأنها في حرب وصراع لا أعمال تُؤدى وتتنقنها وكفى؛ تتناوشها مسؤوليات الحياة وقلق الحياة نفسها.

من العظيم أن تجد قدرة لترتب أفكارها وتقوم بأمرها التي تحب.

أن تحرص أن تأوي إلى فراشها برائحة عطرة وأن تضع كريمًا مرطبًا لوجهها ويديها وقدميها.

من العظيم ألا تلقي بنفسها على الفراش كشوال من البصل
كريبه الرائحة شعناء غبراء مثل روحها تمامًا.

من العظيم أن تكون كل ذلك وينتهي يومها دون أن تخبر
أحدًا حتى نفسها كم هي مرهقة وحزينة..

وكم أنها رائعة تقوم بكل ما ينبغي في أحسن تقويم وتكوين.

(7)

هناك صنف من الرجال وربما غالبيتهم كلما تقدم في العمر تخفف من تعقيدات الحياة التي تفرض عليه نوعًا من السلوك المتزمت كريان للبيت والحياة بشكل عام..

وحين يتخفف من ذلك تصدر عنه بعض التصرفات الساذجة بتلقائية مفرطة؛ كأن يبدو ثرثارًا لمن هم أصغر سنًا؛ أو تجانبه الحصافة في بعض ردوده وكلماته، وربما يهمل بعض الرجال مظهرهم خاصةً أمام ذويهم ومن لا يهتم برأيهم، والأسوأ أنه قد لا يقلل باب الحمام بأريحية عجيبة.

وهذا لا يعني إلا أنه أصبح متصلحًا مع نفسه راضيًا بما يقول أو يفعل غير مبالٍ بتزيين تصرفاته بالاتزان والوقار كأيام شبابه لجذب الجنس الآخر، فيبدو للرأي كأنه ساذج أو أحمق.

لكن هذا هو قمة النضوج والجمال في الرجل.

في حين أن المرأة تتكالب على نفسها لتصل إلى الكمال في مظهرها وفي تصرفاتها كلما تقدمت في العمر.

تعاني فوق طاقاتها النفسية كلما كبرت لتبدو للرأي أكثر شبابًا وجمالًا؛ في حين أن دابة الهموم تأكل منسأة روحها فتخر صريعة بين ليلة وضحاها.

تصر بعض النساء على أن تبدو كاملة في عيون الناس
فتهلك نفسها لتؤدي ما عليها في أفضل صورة؛ لا تطيق أن
يقال قصرت في جانب من واجباتها وهذا هو التفاني في
الغباء!

في حين أن بعض الرجال يتخففون من كثير من الالتزامات
التي تزيد حياتهم تعقيدًا فيظهرون بصورة الأحمق أو الفج
الأرعن وهذا برأيي هو النضوج والحكمة في أعظم صورة.
إذ أن من الحكمة أن تصنع ما يعجبك لا ما يعجب الناس وأن
تحيا كما تريد لا كما يتوقع الآخرون.

وهذه الصورة للرجل المتحلل من بعض التعقيدات
والتصرف بأريحية والمرأة التي تحمل على عاتقها
المحراث حتى آخر لحظة هي صورة لا تعمم فأحيانًا يتبادل
الجنسين الأدوار فتتحلل المرأة من تعقيدات الحياة ويظل
الرجل ملتزمًا بها.

(8)

قالت لي: أحبه كثيرًا، ربما كما يحب نفسه، لكننا لا نتفق على مدار اللحظة، تتوالد الخلافات بيننا كلما التقينا أو تحدثنا، أحيانًا بلا حصر أو سبب.

قلتُ لها مازحة: أحبيه عن بعد فلا نتحدثا أو تلتقيا.. هل ينفع ذلك؟

قالت: لا، لأنني حينها أشتاق إليه، أشتاقه حد الألم؛ لقد أورثني حُبُه حيرة وحرزًا لا طاقة لي به..

ما استطعت أن أقبل منه ما تيسر، ما استطعت أن أكون مرحلةً قابلةً للتجديد أو الإسقاط أو التبديل، ما استطعت أن أكون محطة انتظار لانتقال آخر..

أردته كله كل شيء، أردته ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً، وهذا ما لا يمكن..

فكيف أحبسه في قفصي الصدري وقد عاش عمره كله حرًا يتخير النساء كالأشجار يحط عليها بعض وقت؟

كيف أجعله عاشقًا تحرقه الأشواق مثلي وفيه كل هذا البرود؟ أو كيف أذهب عني هذا الحب الذي شغلني عن نفسي وحوالي إلى مصدر غيرة ونكد؟

قلت لها: وهل هذا النوع من الحب برأيك هو الأهم؟

أشخاص كثير عاشوا حياة هادئة ومستقرة لم يجمعهم سوى المودة والرحمة، وآخرون افترقوا رغم وجود عنصر الحب العاصف والملتهب هذا.

أظن أن العلاقات تحتاج لشيء أعمق من حب متهافت على قشور زائلة قد تُعدُّ مقبلات ما قبل الوجبة الرئيسية.

ربما تكون الوجبة الرئيسية شعور الطرفين بالاحترام والتقدير لبعضهما والتفاهم العميق دون إساءة ظن، أو الحاجة لفرض رأي ومصادرة آخر.

ربما هي معرفة كل واحد منهما حياة صاحبه كأن كلاً منهما عاش حياة الآخر.

ربما تكون ثقة مطلقة بما يقوله كل طرف دون احتمالية الكذب والخداع ولو بنسبة ضئيلة.

ربما هي تلك الرحمة والرفقة التي يسيل لها قلب أحدهم على الآخر فلا يرتضي له ألمًا أو وجعًا أو خوفًا، أو صدمة فيمن يجب.

ربما الحب الحقيقي هو كل ذلك، الاحترام والثقة والرحمة والحنان والعشرة، الحب هو فردوس الشعور.

وليس ذلك الانجذاب اللاهب الذي يبقيك على قيد الجوع ولا
عاطفة مشبعة لمشاعرك، اشتعال الهشيم سرعان ما ينطفئ
مخلفاً رماداً يعمي العيون عن حقيقة الحب المزيف.

العلاقات ليست شغفاً وولعاً فقط فهذه المشاعر تبرد كما
اشتعلت مع الوقت، الحب شيء أعمق وأصدق كالجذور
حين لا نراها على سطح الأرض، لكنها تقاوم كل عواصف
الاختلافات والبعد وحتى الصدمات.

هذا هو الحب ولن يكون زهرة ما تلبث أن تذبل وتفقد جمالها
وتسقط تحت الأقدام بدون أسفٍ أو حزن من أحد طرفي
الحب.

(9)

رفضته..

وكان زوجا مناسبا من كل الوجوه..

رفضته وقد جاوزت الثلاثين وقد بدأ النفير الأسري يعلن
عن قلقه الشديد لضياع فرص الزواج بها هي السليطة
اللسان في نظرهم باهرة الجمال والذكاء في تقدير نفسها..

قالت لها الرفيقات:

- لقد كان زوجًا مناسبًا حسدتك عليه العشرات، هو يحبك،
وميسور الحال، وذو شخصية مميزة الحضور ومستقبل
واعد بالمسرات وفوق هذا وسيم.

قالت بلا اهتمام:

- لا يلائم نظرتي للرجل الذي أشتهي، إنه قصير القامة وأنا
لا أطيق أن يكون رجلي قصير القامة، فعلو قامته عني
سيشعرني أنه رجل يفوقني في شيء..

أريد زوجي طويل القامة مهيبًا، أشعر بقوته حين يحتويني
كعصفورة..

أريده طويلًا فطولي يجعلني أراه من علٍ، ولماذا عليه أن
يشترط الطويلة الشقراء وعليّ أن أقبل المتوفر.

أفضل البقاء عزباء إذا لم أنتقي مَنْ أريد، فقد انتهى زمن
عرض الجواري ولي أن أختار من أشاء..

كما أنني لا أريد زواجًا أُكفّنُ به لأحيا البرزخ قبل أوانه، أريد
أن أعيش الحب حقيقة..

أريد أن يختار قلبي وعقلي معًا، فإذا أخطأت الاختيار لم
يعذبني أحدهما بلوم الآخر..

لم يعد حكرًا على الرجل اختيار رفيق الحياة..

لقد صار من السهل على الأنثى في زمن العولمة والانفتاح
أن تنتقي رجلًا ملائمًا تمنحه قلبها وعاطفتها.

بل إن الأنثى بما جُبلت عليه من ذكاء وحكمة يمكنها أن
تكون أوفر حظًا من رجلٍ يعشق ذوات القشور اللافتة
والعروض الهابطة.

يمكنها أن تختار بعقلها أولاً قبل أن يعرف قلبها بالأمر.

ثم تفاجئ القلب التواق للحب برجلٍ كأنه مكتمل البهاء
فالقلوب تبقى أضعف ما فينا وتصير على الكمال.

لتختار رجلًا روحه تشبه روحها، تختاره هي وليست صدفة
الحب التي تغرر بالكثير.

تختار صفاته التي تتمنى بعناية كما تفصل فستانًا ضيقًا على
مقاس تضاريس جسدها.. تختاره ملائمًا لتفاصيل مزاجها
ورغباتها.

تسعى أن تكون مقاساته النفسية مطابقة لمقاساتها بالحلم
بحبيب وشريك روح وجسد.

فتنتقي الأقرب لقمة الكمال الروحي كي لا تتعثر بهبوط
الاكتشافات المهرولة نحو أسفل الحضيض الأخلاقي
والذائقي؛ لتكون حذرة أين تضع قلبها، فكثيرات من النساء
ينسين قلوبهن ملقاة على الأرض فتدوسها أقدام العابثين.

ولأنها الأفدر فراسة لتحديد درجة صدق الرجل، وعمر
صلاحية الصفات التي يتظاهر بها، ومدى زيفها من ثباتها
فهي الأجدر أيضًا على خلق سعادة متوازنة باختيار رفيق
تتحاشى فيه تشوهات أخلاقية ستقتل الحب حين يولد بينهما.

وبعد أن تختار الرجل المناسب يصبح من السهل لأنثى ذكية
وساحرة أن تجعله يختارها هي، فهذا تعزيز لذكوريته
كصياد ماهر حظًا بأنثى تعرف طريقها.

فالرجل يعشق كثيرًا أن يبدو صيادًا محنكًا.

- سأمنحه حق الخيال فقط وأكون فريسة صعبة المنال،
وأحكم طوق العشق حول عنقه وليكن هذا الطوق من
ياسمينٍ وحب.

(10)

كان كريماً في منحها كل شيء..

منحها الحب حتى امتلك أنفاسها بكلمة، منحها المال بسخاءٍ
مَنْ يشترى أغلى ما يتمنى، منحها الوقت حتى صار هو كل
عمرها، وما قبله لم تكن على قيد وجود، امتلكها بقيود
العشق، حتى صارت تنفس اسمه..

ثم باغتها بالخيانة..

وكان كريماً كثيراً في الكذب؛ كريماً في التظاهر وكريماً في
منحها الدموع والألم.

كريماً دائماً في كل شيء..

فصارت تجاربه في كرمه؛ إنما بالشتائم والسب، ثم في
القسوة والهجر، فحين تسقط الثقة لن تعرف من يغتالك
وحتى من تحب أو من تكره.

سيصبح كل شيء في نظرك ممن تحبه ممكن الحدوث؛ فقد
خانك مرة.

وقلب الأنثى المحبة يصبح كرمه في الغيرة هادراً فينبت
أشباحاً لتغار منها وتصنع قصصاً، فتحيل حلو الحب مرّاً؛
وتسقط سماء العشق كسفاً.

تحرقها الغيرة فتنتفثها في وجهه لهبًا لعتاب نارِي.

فكيف إذا أهدرت روحها خيانة من تحبه؟ كيف لها أن
تغامر وتثق؟ ستموت ألف مرة بين نعم ولا..

صارت كل الطرق بينهما تؤدي إلى الخلاف وكل أبواب
التفاهم تفتح إلى جدار الصمت.

كل همسات الحب التي تعيث شوقًا في كيائها تتحول إلى
لعنات حنق ما إن يتحدثا.

في غيابه يتناوب عليها الفقد وخيالات الغيرة المحرقة، ولو
انتصر الفقد جولة غلبته الغيرة جولات عديدة لتصبح
حياتهما امتدادَ حربٍ.

ولأنها تحبه لا تحتمل فكرة أن يفترقا رغم أنها حوّلت
حياتهما إلى حقل تجارب للصدق والكذب.

تظل تبحث عن ثقب يتسلل منه ضوء الثقة إلى وحشة البعد
وعتمة الشك، كأنها تنقب عن أدلة ثبوت الشك وليس عن
دواعي بقاء الحب.

ويظل قلبها بين يديه؛ معلقًا به ينازع شوقًا له ويتمنى أن
يكون كما عهدته دائمًا كريمًا في الصبر كريمًا في الغفران.

تتعب وهي تتستر بالعدائية رداء يلفها كي يخفي شغفها به؛
تتعب وهي تتعثر بين رفضها لأفعاله وحبها له.

تظل تحشو ساعات الفراق بالخيال؛ تضع لمسات اللقاء بعد
كل خصام وما أكثر أوقات الهجر بينهما، تحلم بشح
الحريص على غراس يديه أن يذبل بعد أن امتلأ به فضاء
خيالها.

حين تعصف الغيرة بالأنثى تلبسها على كل شيء حولها فلا
ترى إلا انعكاس تفكيرها في الأشياء والتصرفات، تظن أنّ
كل قول من الرجل أو فعل ترجمته الوحيدة أنه يحب سواها.

لكن الرجل يملّ قفص الاتهام الذي لا يغادره منذ عرفها،
وفقد رغبة الحياة الملغمة بانفجارات الغيرة وتمنى متعة حب
بلا عواصف الالتزام والتبريرات؛ لقد فضّل الانسحاب
الآمن بأقل الخسائر الممكنة.

لقد خنقت شكوكها كل رغبة في الحب داخله، صار يهرب
منها أكثر لتحاصره بالغيرة أكثر، وهكذا أعلن الفشل فوق
ركام حب مهمل.

مهما كانت محاسنها في عينيه لم تعد هي راحتها؛ لقد تحولت
حياتهما إلى سجن من الغيرة والشك.

يصبح شعوره نحوها مختلفًا ربما الشفقة وهو يراها تسقط
في هاوية لا قعر لها من الظنون.

تظل تهوي في ظلمة خانقة لا أرض تتلقفها أو سماء تتعلق
بها.

الشك والغيرة تحرم المرء الحب الذي يخشى كل عمره أن
يحرم منه كان رجلاً أو امرأة.

والمحروم ليس من عدم وجود الحب في حياته؛ المحروم من
وجد في حياته الحب فحرم منه بالظنون والشكوك..

(11)

قالت لي:

- للذكور مهارة النسور في انتقاء الضحية، ورغبة الكلاب في ملاحقة الفريسة ثم تركها قتيلة بلا رحمة.

ظل يلاحقها سنوات طويلة بعشق مهووس وشغف تحسد عليه وظفر بها أخيراً.

ظفر بأكثر من جسد كان يتخيله تحت عباءتها أو صوت يهمس له وحده بكلمات الحب.

لقد امتلك قلبها بحب بادلته الشغف حتى الجنون.

ثمّ ماذا؟!!

افترقا فجأة دون سبب.

قال لي: لقد قتلت ذلك الحب والشغف.

قلت في نفسي: القاتلة! كيف استطاعت ذلك وكيف هان عليها حب سنوات الدراسة والملاحقة والعشق المتأجج؟

قالت لي: لم يعد يحبني كما كان سابقاً؛ أصبح يتهرب من الحديث معي ولا يرد على رسائلي؛ كنت أظنه في مرحلة

الخطبة سيغدق عليّ بكل الحنان الذي كان يلوح به وهو يلاحقني.

قلت في نفسي: يا إلهي! كيف يفقد اهتمامه بالفتاة التي حلم بها طويلاً؟

قال لي: هذه ليست حبيبة بل شرطي تحقيقات لا يريد أن يصدق دفاعي وتبريراتي؛ ظننت أن مرحلة الخطبة ستكون جنتي الموعودة بكل كلمات الحب والحنان والرقّة والتفاهم، لكنها حولتها إلى جحيم لا يطاق بأسئلتها وشكواها المستمرة من إهمالي لها كأنها لا تعلم أنني رجل لي أشغالي واهتماماتي الأخرى، لي عمل يأخذ أغلب وقتي؛ أنني أقاسي الغربية من أجلها ومن أجل عائلة يجب أن نؤسس لها؛ لقد وصل بها الحال أن تهينني باتهامي بملاحقة النساء لأنني فقط لاحتها هي.

صار شغفي بها جريمة ارتكبتها مع كل فتاة غيرها وليس أمراً يخصها ويفرحها.

أصبحت أقلق من ذلك الوقت الذي نتحدث فيه؛ من كم الأسئلة التي ستطلق وكم الإجابات التي لن تقتنع بها أو تصدقها.

قلت في نفسي: يا إلهي! حقاً إن النساء يتصرفن بعاطفة تخلو من التعقل.

قالت لي: لم أعد أشعر باهتمامه بي؛ أين ذهب كل ذلك الوقت الطويل الذي كان يقضيه في ملاحقتي هنا أو هناك عله يظفر بكلمة أو إشارة قبول، الآن كل وقته مشغول بأمور لا أدري ما هي؟

كلماته الحنونة أصبحت جافة ومنقبضة ومختصرة كأنه يرد على تساؤلاتي مرغمًا، أشتاق إليه ولا يبالي بعنابي وتوسلاتي فيقتطع لي جزءًا من وقته، لم يعد يحبني كما في السابق وكأنما مثلت له تحدٍ وانتهى الأمر فأنا أصبحت ملكه وقلبي أسيرًا بين أصابعه يلهو به كطفل بلا شفقة أو عطف. احترت أيهما كان محقًا.

لكنني علمت أنهما بعد فترة من الصراع افترقا بفسخ الخطبة وإلغاء مشروع زواج كان سيصبح فاشلاً بجدارة.

(12)

الرجل لا يحب، الرجل يشتهي فقط.

هكذا رمت بخلاصة حياتها وكأنما توصلت إلى حقيقة لا جدال فيها.

أخبرتني أنها اكتشفت بعد عشرين عامًا من الزواج أن زوجها لا يحبها حقيقة كما هو الحب، فمنذ فترت رغبته فيها تغير تعامله أيضًا فصار لا يهتم لها إلا كما يهتم لقطعة أثاث مفيدة في منزلهم.

حاولت عبثًا أن تشعل فيه الرغبة نحوها، فلم تتعد محاولاتها إلا لفت الانتباه لكونها امرأة لها احتياجاتها.

لكنه بالمقابل كان يبدو سعيدًا بوجود شيء يثير شهيته للحياة ويستحوذ على اهتمامه الذي كان يومًا ما موجهًا إليها.

وبقليل من الحدس النسائي البوليسي عرفت أن في حياته أخرى حولته إلى شخص آخر، شخص أكثر شبابًا واهتمامًا بنفسه وبالوصول على هذا الشيء الجديد في حياته.

سألتني: ماذا ينقصني حتى يجده عند أخرى؟ لقد كرهت نفسي.. أي قرب منه؟

قلت لها: كونه لم يعد يشتهيك هذا لا يعني أنك لم تعودى شهية أو مرغوبة؛ باختصار الرجل يعشق التنوع فى كل شىء؛ ملول حتى من نفسه..

وأنت لست وجبة غذائية سترمى أو توضع فى ثلاجة التبريد، أنت روح وعقل أيضاً إذا لم يحب روحك فلن يشتهي توابعها.

يظل الرجل يشكو من امرأة لم يعد فى جسدها أو أنوثتها أعود ثقاب كى تشعل فى الرغبة نحوها.

لا يعلم أنه أصبح فى عينيها قطعة خشب محترقة بعد أن اشتعل بالرغبة لسواها.

يظن الرجال أنهم فقط من تعاف أنفسهم امرأة تعددت علاقاتها وصار جسدها طريقاً يسلكه العابرون.

المرأة أيضاً تكره الرجل حين يشتهي غيرها ويعامل جسدها بديلاً تعويضياً.

أغلب الرجال لا يعلم أن حواس المرأة يمكنها أن تلتقط أقل إشارة تنافر موجتها.

والملاحظ أنه إذا أحب الرجل امرأة أسكنها قلبه وبقي جسده خارج السيطرة يشتهي كل امرأة جميلة ولو كانت عابرة؛

ويظل جسد امرأته مركز التفريغ لكل شحن خارجي
يتعرض له ولعل هذه فطرته التي لا تقتنع بها المرأة.

أما المرأة إذا أحببت رجلاً أسكنته قلبها وكل خلايا جسدها
بصك ملكية حب خاصة.. إذ لا يعاني جسد المرأة حالة فلتان
الرغبة التي يعاني منها الرجل.

يظل الحب والرغبة والاشتهاء مشاعر لا تنفصل أو تتجزأ
عند الأنثى بخلاف الرجل.

المرأة حين تحب تصبح نهرًا متدفقًا من عاطفة مصوبة إلى
رجلها في كل وقتها.

أحيانًا يصبح تدفقًا كاسحًا من الاهتمام لا يوقفه سوى ملل
الرجل أو تجاهله.

لكنها لا تقبل بديلاً لهذه العاطفة وتعجز عن فهم طبيعة
عاطفة الرجل القادرة على الانكماش والتمدد حسب الرغبة
الحسية.

(13)

كينونة المرأة العاطفية المعقدة بسيطة حد العجب!

هي تعاني هوسًا خفيا بنفسها فقط، ولا تعترف به أبدًا.

فهما كان الاكتفاء ذاتيًا تظل تحتاج بشدة إلى ظل رجل إنما ليس أي رجل.

تحتاج لذلك الرجل المتفاني حبًا المسرف عشقًا؛ تشتهي اهتمامًا دائمًا كصنبور حب مفتوح إلى آخره وليس صنبورًا مكسورًا ينقط الاهتمام تقطيرًا.

إنها كائن جشع للاهتمام رغم أنها رمزٌ للعطاء.

لكن هناك صنفاً عجيبيًا من النساء يظلم نفسه كثيرًا.

هذا الصنف يريد رجلًا يهيم بها في كل وادٍ؛ ويكتب فيها المعلمات والقصائد وإن لم يكن شاعرًا.

ومع كل هذا يجب أن تقابله بالصد والجفاء والدلال الأجوف الممتلئ باللامبالاة به.

يجب أن تقطع أنفاسه شوقًا إليها وصبابة بكل ما يتعلق بها.

ولا تروي قلبه إلا تعطفًا وفضلاً منها؛ تنفق بحرص خوفًا
من نفاذ شغفه للزيادة منها.. يجب أن يُفِرط في حبه وتُسرف
في صدها..

وماذا بعد؟

الرجل كائن ملول ولديه كبرياء باذخ..

سيكره الصد والإهمال غير مدرك كنه لعبة القط والفأر التي
تحسنها المرأة؛ فيقوم بركن هذه المرأة كتحفة جميلة في
أدراج مقتنياته النادرة في العناد والأنانية.

ويبحث عن الحب والاهتمام في مكان آخر.

وهنا تحدث المطاردة العكسية.

سينهار في عينيها صرح الحب الذي ظنته من جبال ولم يكن
سوى أكوام رمال صنعها قلب الطفل داخل الرجل حين
يعشق.

وحينها ستجتو على ركبتيها لتلحق ذلك الاهتمام الذي أراقتة
كل مرة بقسوة.

ستبحث كالمجنونة عن ظل ذلك الرجل الذي حماها من
هجير الإهمال بقلبه الذي احتواها بكل عجرقتها وصدودها.

سترفع لخطواته الراحلة صلوات استسقاء لا تنتهي عليها
تمطر عودة أو النفات للوراء أو حتى ذكرى طيبة.

ما أشقاها حين تظلم نفسها مرتين!

مرة حين تحرم نفسها حبّه عنادًا وكبرياء، ومرة حين تهدر
كبرياءها تذللًا وطلبًا للرحمة في النهاية.

(14)

لا تريده شاعرًا يرص الكلمات كأوتار العود أو أصابع القانون؛ فإذا مرت من بين شفثيه صارت لحناً.

يتخير أكذب الكلمات كسهام من جعبة خلف ظهره لا علاقة لها بنبض القلب داخل صدره.

شاعرًا ينقل القصائد بين الحسان كدلاء الماء لا تروي صدقًا أو تبقى على ذات النقاء.

ولا تريده مقاتلاً يحاصر مدن القلوب ويفتحها عنوة؛ وقد أراق الكثير من الحياء.

ستكون في عينيه أسيرة، وفي أسوأ الأحوال يرديها قتيلة إذا مات برصاصة الأعداء.

لا تريده مقاتلاً تبكي فراقه عند كل لقاء.

ولا تريده طبيبًا تصاب به مرضًا ويراها حالة؛ يضرب لقبها موعدًا ويصرف لها الدواء من صيدلية خارج صدره المكتظ بأسماء المراجع الطبية والنساء.

ولا تريده فلاحًا يراها قطعة أرض للزرع فقط! يسورها بالشوك ويحرص أن يبقيها طوال العام خضراء.

لا تريده مهاجرًا فهجرة البشر ليست كهجرة الطيور تعود ما إن ينتهي الشتاء؛ هجرة الأحبة يضيع فيها العمر من الربيع وحتى آخر شتاء.

تريده رجلاً لديه قلب طفل يستقبل الحنان باهتمام ويصدره للآخرين كأم.

فالرجل يملك براءة الأطفال ما لم يكن عاقًا لأخلاقه.

وككل الأطفال لن يفسد قلبه شيء حتى كذبه يكون محض خيال فقط.

حتى وإن كانت فطرته عشق الألعاب المثيرة فسيتحاشى تحطيمها نبلاً.

وإذا صادفها لن يراها فقط لعبة بل كنزًا ثمينًا.

وحين تنتثر حوله فخاخ الغيرة كأنثى جبلت على الاستحواذ قد يكذب فالكذب أقوى دفاعات الرجل حرصًا على امرأته.

لكنه حين يعلم أنه وقع بملء رغبته في فخاخ الكلمات متعثرًا في كذباته يضحك ببراءة الاعتراف لا قبح الإنكار.

تريد رجلاً كلما أعجزه فهمها اختلق لها ألف عذر.

حتى إذا تسلل الملل إليه واستحوذ على لسانه رافضًا الكلام
اكتفى بالنظر، فالعيون لها لغتها الخاصة؛ لغة لا تحتمل
مفردات الكذب أو المواربة أو الخداع.

فلسان حاله: قد سقط القلب بين كفيها عاشقًا، فلتأمل العيون
فإن قرأت النبض الدافئ صادقًا وإلا فالقلب بين يديها تزهرق
نبضه بعدًا وعزوفًا.

(15)

يقول لها: "أنتِ لي"

فتضيء العبارة في خيالها كمصباح؛ تكون واقفة فتذوب
أرضًا كقالب تلج اشتعل حوله وهجُ الدفاء!

تكون ماشيةً فتتسى أين تتجه خطواتها وتتمنى لو أن كل
طريق تقود إلى حضنه الدافئ.

تكون في حديث فتقطعه وتبتلع ريقها كأن شهدًا خالطه لوقع
الكلمة على حواسها.

تكون مسترخية فتتقبض أطراف أفكارها في شهقة شوق.

"أنتِ حقي" يقولها هو فتتنهد هي لسعادة الوصول إلى هذا
الحق.

"أنتِ لي" ليس لها وخز إهانة المتاع أو التملك والنشوية
كقطعة أثاث ومفتنيات.

لا ليست كل هذا الحمق النسوي في اللهاث وراء فصل
الشيء إلى شئين؛ ودعاوى فصل الجزء عن الكل.

ضراوة التملك لا تخيف المحبين..

بل تبعث الأمان في أطراف البعد والغياب حين يطالها
البرود.

هذا الحق جزء من الروح لن يتنازل صاحبه عنه تحت أي
ظرف ولن يضيع قلباً وراءه عاشق.

"أنتِ حقي" قد تصبح حلم حين تكون مستحيلة؛ وقد تكون
غايةً حين تمثل السعادة، وقد تكون دافع لتخطي كل صعب،
فمن وهب حباً نقياً يملأ قلبه هانت في عينيه الصعاب.

الحب حق والاختيار حق والحق لمن يستحقه.

(16)

عزيزتي..

أريد أن أخبرك أن الأدباء مثلي لا يكتبون رسالة إلا لمن يهتمون لهم فعلاً؛ نحن صنف لا يرغب بإثارة إعجاب أحد بأسلوبه المؤثر في الكتابة.

لذا تقي أنني أكتب لك حباً؛ لا إثارةً لإعجابك الساذج بكل شيء منمق.

تعالى الآن نجلس على ذلك المقعد المنزوي في ركن كآبتك الشهيرة والمثيرة لشفقة الأوغاد والأحباب.

فأنا لا يؤثر بي حزنك أو عينك البريئتان؛ أعرف أن داخلك طفلة شريرة ومرحة حد التفاهة غالباً.

لا أعلق كل كآبتك على اضطراب هرموناتك فهو عذر مؤقت؛ ولا تخطيك عمر الزهور فأنت الآن في عقد اكتمالك ناضجة شهية في أبهى صورك.

الآن أنت تجاوزت الأربعين بكمية لا تعرفينها أو تعترفين بها، وهذه ليست المشكلة فكلنا يا عزيزتي نضيف إلى كواهلنا أعواماً لا نعرفها أو نعترف بها.

وليست المشكلة في الطفلة المشاغبة والصاخبة داخلك
والنرجسية أحياناً.

المشكلة أنك لا تدركين الكارثة التي أنت تعيشينها مؤخرًا.

أنت لا ترغبين بالاعتراف لنفسك عن سبب كل هذه الكآبة!

أنت لا تواجهين نفسك التي تؤلمك بنزوعها للحلم فتوردك
موارد الندم وهي تطارد وهم الحب المجنح الذي ما يلبث أن
يهوي بك مع أول قفزة خيالية.

هذا الحب ليس سوى فخ من حلوى الهلام الوردية يصبح في
طرفة عين قبضة تعتصرك حتى الموت إن لم تنفدي بجلدك
قبلها.

أتذكرين حين أخبرتني عن ذلك الرجل الذي يريد منك تبادل
رسائل حب معه؛ يومها أدركت أنه يراك ضمادة لجرح
يؤرقه.

لم تكوني في عينيه سوى مرحلة نقاهة واستشفاء من حب
افتقد فيه رسائل تلك التي أحبها فبدا كمريض أدمن جرعة
كلام عذب.

لم يقع في حبك.

لقد وقع اختياره عليك فقط كي تكوني دواء مؤقتًا من حب.

هكذا الرجال يا صديقتي بحاجة إلى أنثى تخبرهم صباحًا
ومساءً كم هم رائعون ومهمون، ولن تكتمل حياة النساء إلا
بإشراقتهن البهية..

هم بحاجة إلى قلب يقدم صلوات عشق لا تنتهي ولا تطالب
بالمقابل.

أنانيون حتى النخاع، حتى وهم يؤدون دور العشاق..

ولا أدري كيف يجتمع في شخصك المثابر والدؤوب هذا
الجانب الحالم الخيالي..

أجد ما حققته في حياتك أيًا كان كافيًا كي تعتدّي بذاتك ولا
تحتاجي ظلًا باهتًا لرجل في حياتك.

إذا كنت بلغتِ هذا العمر دون زوج فهذا ليس نقصًا فيك بل
لأن الرجال هم الناقصون أن يبلغوا مكانتك.

(17)

ماذا يمكن للمرأة أن تفعل إذا أمتلأ القلب ملأً ورتابة؟!!

إذا قررت التخلي عما يهزمها؛ ربما حب فاشل، أو قلة حيلة أمام طارئٍ قض مضجعها.

تستيقظ وهي تحمل كتلة غضب بين عينيها تشتت النوم من خلايا جسدها فتبدأ يومها في محاولة للتوافق مع ذاتها أولاً قبل الآخرين.

عشرات من وسائل إبادة احتقان القلب بالإحباط تنتزعها المرأة بسهولة لا تستطيعها سوى النساء لبساطتها.

ليس عجيبياً أنها تحاول تدوير السخط إلى سخرية وفكاهة حتى من نفسها وتخلق خطأً لمشاريع فضائية على سطح زحل.

تردد لنفسها بعض الشعارات التافهة عن صناعة السعادة من العدم والسعادة أنت بدون أحد.

قد يبدو الإغراق في أعمال المنزل شيئاً غير معتادٍ لشخص يغمره الحزن أو الغضب ولا يعرف كيف يصرفه إلا من باب النشاط الزائد في العمل..

وهذه ليست قاعدة عند كل النساء، هناك من تصرفه في الكسل الزائد وفوضى المكان.

لكن المرأة في الأصل كائن أنيق تجد في نفض البيت نفضاً لأحزانها وترى في مسح الزجاج والجدران إزالة لما يشوش ذهنها، وفي خيالها تتمنى أن تجد النظافة من الهموم الطريق إلى حياتها.

وماذا بعد منزل يشع صفاء والقلب ما زال متكدراً؟!!

تكرر شعارات الاستقلال والحرية وكوني أنت، وتسعى لإثبات هذه النظرية!

لتنتهي كل الشعارات برحلة تسوق وشراء أغراض تافهة، أو الحصول على يوم مختلف مع صديقة مقربة، أو عملية بتر لشعرها مهما كان طوله.

كثيراً ما تقص المرأة شعرها في مواجهة مفصلية في حياتها ولا دخل لثقافتها أو درجة وعيها بهذا الأمر.

تقص شعرها على قناعة أنها تتخلص من ثقل الهموم أو الحزن ومحاولة إحداث تغيير ملموس تراه بعينيها ويؤثر على نفسياتها حتى لو لم يكن إيجاباً.

وربما لتثبت لنفسها أنها لا تبالي بما يحب الرجل في المرأة.

قد تجازف المرأة بحلق شعرها تمامًا وهذا ليس جنونًا أو تشويهًا بل غاية القوة والتفاؤل، فحلق الشعر إلى الصفر لا يعني إلا أنها تنوي بداية جديدة من الجذور لتنتهي فصلًا حالًا من حياتها وهذا لا تفعله إلا النادر من النساء.

وماذا بعد؟

ما إن يأتي المساء حتى تفقد الحماسة للصلاية والفكاهة وترديد شعارات البرمجة العصبية فأعصابها تلفت تمامًا، تبدأ بادعاء الحكمة والصبر على الابتلاء.

بمرور الوقت يصير كل شيء فيها قابلاً للانهيار أو الانفجار.

كل شيء فيها متحفز للهبوط؛ هشة "كإصبع ويفر بدون شوكلاتة"؛ تدمع عيناها لمشهد دودة تزحف وحيدة على الأرض وتشعر بوجود روابط دودية بينهما.

عند النوم تكون على أتم الاستعداد للبكاء وإغراق وسادتها بالدموع والاستسلام لنوم يتخلله الأنين والكوابيس المتداخلة..

كتلة من المشاعر المتناقضة بين الضعف والقوة هي المرأة.

(18)

سألته في نوبة كآبة أصابتها:

- أصبحتِ تأكلين كثيراً كل ما يصادفك.. هل أنت جائعة طوال الوقت؟

- كلا، لست جائعة أبداً.. أنا فقط محطمة.

- وهل المحطمة تبني هذا الجسد بكل هذا الطعام والشكولاتة؟

- من قال لك إني أبني جسداً، أنا أدمره وأفسد جماله وأحوله إلى ركام بلا تفاصيل أو ملامح.

- ولماذا تنامين طوال وقت فراغك؟ لماذا صرتِ كسولة تعشقين الراحة؟

- لست كسولة، أنا محطمة وأضع ركامي بعيداً عن الآخرين فقط؛ أنا أهرب من الضجيج في رأسي إلى النوم لكن يدركني رؤى متداخلة وأصوات كأنها الجحيم..

أنا كمدينة خراب تسكنها الأشباح بعد أن هجرها الغزاة الأثمون.

- هذا الغازي الأثم ليس سوى رجل.. تخلّيت أنت عنه!

- نعم، وماذا أفعل؟ أنا امرأة "كلا شيء" في حياته؛ ليس أمامي سوى أن أنام كي أنسى أن أعيش هذه الحياة.

- ما دام يؤلمك فراقه هكذا لماذا رحلت؟

- لقد باعني.. فاشتريت نفسي بأطنان الألم واعتقت قلبي حرًا منه للأبد.

لقد كنت أهتم بنفسي من أجله هو، أريد أن أكون جميلة في عينيه.

- تعرفين المرأة لا تريد أن تصل إلى مرحلة امرأة سمينة وحزينة؛ لا بأس أن تكون امرأة رشيقة وحزينة، أو امرأة سمينة وسعيدة. هناك أمور لو اجتمعت ستؤدي بأي امرأة إلى الجنون السيئ، ونحن نحب فقط تلك الأمور التي تؤدي إلى الجنون الجميل، ربما الحمية تحرمك فوضى الاكتئاب والانتقام من النفس.

وكما يبدو أنت لا تتمتعين بفقد الشهية في اكتئابك، وهذا سيضاعف اكتئابك أكثر وسخطك عليه كسبب رئيسي في بدانتك.

أنت امرأة حالها مزرٍ فعلاً؛ فالرجل سبب في جمالك وبهائك وسببٌ في تردّي أحوالك.

ألا يمكن أن تكوني سبباً لنفسك في سعادتك؟ ألم تشتري نفسك منه بأطنان من ألم الفقد والاحتياج والاشتياق؟ أكملني جميلك مع نفسك واعتقيها منك ومن تفكيرك بأن حياتك دونه قد انتهت، تجلمي في عيني نفسك كي تصبح الحياة جميلة في عينيك.

(19)

بعد انفصالهما بحكم القضاء إثر خلافات دامت مدة ارتباطهما؛ عامين تمامًا.

وكونه انفصالاً نهائيًا تدخلت في مصيره عائلته وعائلتها قلت لها مواسية: ستنسينه يوماً.

ولأنها لم تره وجهًا لوجهٍ كي ترى هل أسف لانفصال قلبين كانا قلبًا واحدًا.

قالت لي: كنت لأنساه لو كان ارتباطنا مفروضًا علي، لو لم أحبه وتسكنني تفاصيله الصغيرة؛ لقد امتزجنا كماء وسكر فكيف يأتي انفصال؟ هو في داخلي قد اختلط بتكويني فكيف أنساه؟! أشعر أن خلايا روحي حامل به كل العمر وحتى الامتلاء.

سألتها: تحبينه؟

- كما لم تحب أنثى رجل.

- ادعي من أجله إذًا..

فقلت: أدعو الله أن يباعد عنه كل هم، وأن يحرمه كل حزن إلا حزنه لخسارتي؛ أدعو الله أن يكون فقدي مصيبته التي لا يُشفى منها.

قلت لها: لقد دعوت عليه بالموت على قيد الحياة.

ما أرق قلوب النساء!

(21)

عندما تكون المرأة أصغر سنًا تظن أنها ستبقى هكذا دائمًا -- ليس تمامًا- إنما يكون لديها شعور أنها قامت بتمديد صلاحية مرحلة عمرية معينة.

فالتقدم في العمر لن يكون ضمن الأمور المقلقة لامرأة تودع العشرينيات أو امرأة لم تلاحظ فاصلاً بين طفولتها وشبابها.

في ذلك العمر، ذات صباح زارتنى سيدة من جارات سكن قديم لنا، زارتنى للتعرف على امرأة لا تحضر مناسبات النساء أو جلسات الجارات.

كانت سيدة أربعينية تمضغ اللبان بسرعة أثناء حديثها، وتطلق ضحكة فيها إغواء لمبادلتها الابتسام، تحمل ملامح شابة فنية وتتحرك في صالة منزلي برشاقة فتاة عشرينية.

يومها فكرت "إذا وصلت إلى الأربعين وأنا كهذه السيدة فأنا محظوظة كثيرًا".

امرأة تضع أحمر الشفاه حال استيقاظها من النوم جديرة بالتمجيد والإعجاب.

علمت أنها زوجة ثانية لرجل ما، وأن لديها ولدَيْن أحدهما في الجامعة.

بعد بضعة أشهر دُعيتُ إلى زفاف لدى أقرب الجيران لنا، وكان لزامًا عليّ الذهاب كفرض واجب.

جلست في ركنٍ ما أتأمل الوجوه كأني أقرأ في ملامحها سطور حكاياتها، قراءة الوجوه هي إحدى هواياتي المحببة إلى نفسي كثيرًا، حتى استوقفني وجه امرأة.

كأني أعرف هذا الوجه، أو رأيتَه قبلاً..

كان وجهًا شاحبًا قد رَسَمَ عليه الزمنُ خطوطه الداكنة، وجهًا لا يلفت النظر لولا ظنُّ المعرفة الذي انتابني.

جلست أحدق فيها دون وعي وأنا اعتصر ذهني في محاولة للتذكر، وكأنا نظراتي اخترقت انتباها فابتسمت لي وهي تلوك اللبان في فمها بلا حماسة لتقفز ذكرى اللقاء كاملة إلى رأسي.

صاحت عبر ضجيج المكان:

- كيف حالك؟ هذا أنا "فلانة" .. هل نسييتي؟

لعل ملامحي سقطت مذهولة رغماً عني.. كنت مشدوهة
فعلاً!

هل هذه هي الأربعينية التي زارتني قبل بضعة أشهر؟ إنها
تشبه تلك المرأة كثيراً، إنها بقايا لتلك المرأة المتقدة حيوية
وجمّالاً.

هل يشيخ المرء في بضعة أشهر هكذا؟!!

أي شيء هو سن الأربعين هذا؟! هل هو خدعة الاكتمال؟
حين تتوهج المرأة كأجمل ما تكون ثم تهول بغتة إلى أرذل
العمر في شهور!

أين سنّة التدرج في الذبول؟ حتى إنها لا تضع أحمر الشفاه
في زفاف!

تلك التي كانت تضعه حين تستيقظ كل صباح!

وأنا في طريقي إلى الخروج لم أتمالك نفسي؛ فسألت المرأة
المتخصصة في أخبار الناس، سألتها عن "فلانة" هل حدث
لها شيء ما؟

أخبرتني أنها سقطت من سلم منزلهم وكسرت رجلها، وبقيت
قعيدة لثلاثة أشهر طريحة الفراش وأن زوجها الذي تعشقه
حد الجنون تزوج المرأة الثالثة فانكسر قلبها حزناً وقهراً
كسراً أكبر من كسر ساقها..

قالت برثاء صادق: المسكينة كأنما مر عليها إعصار تركها
خاوية، لقد كبرت عمراً من الحزن فوق عمرها.

كنت أتمنى أن أتخطى كل الأجساد التي تتمايل بيننا لأمسك
كتفيها وأهزها بقوة قائلة: الحياة ليست رجل.

خرجت مصدومة وأنا أتساءل: هل أقول تباً لذلك الرجل!؟

أم تباً لكل امرأة وهبت روحها لرجل فقتل تلك الروح حزناً؟

لقد قتلها حب ذلك الرجل، كأنها كانت هي.. فقط من أجله
هو!

لقد خبت.. خبت كجذوة دافئة دفنها الرماد.

(22)

لا يدري منذ متى أصبح الأمر طقسًا يوميًا له ينزوي في ركن الحجرة يبارز ذكرياته بلا دروعٍ تقي قلبه العاري من دفاء وجودها فتتخنه الذكريات جراحًا في سادية محرقة؛ يحاول حجبها بالتحديق في تفاصيل الحجرة فتتواطأ حتى الأماكن على تذكرها، كان يرى جراحه تنزف وجعًا من أجل امرأة!

امرأة جلبت معها ذات يومٍ فرح الحب وتركت خلفها لوعة الفقد شاهدًا على قبر ذلك الفرح، علت به فوق الغيوم ثم تركته يهوي دون أجنحة أمل في العودة.

لكنها حولته إلى قارئٍ نهم؛ وفيلسوف متأمل.

تأمل الكتاب بين يديه هو أيضًا يفتقد مثله توأمه الآخر.

فكل كتاب اشتراه خلال عامين كان له توأم سيامي يهديها إياه كمن يشطر قلبه رغيًا من قطعتين كي يطعم عقلها الفارغ إلا من تفاهات النساء.

ما زالت كلماتها الجوفاء الطائشة حين تطلقها على سمعه بفخر تقتل أي صمت.. لطالما عاند عقله بدعوى براءتها فيخلق المزيد من الأعذار كأن يقول لنفسه: قلب طفلة سيكبر على يدي.

حتى أحلامها الصغيرة نفت فيها من روحه واعتبرها كياناً
ينبض بين أصابعه ويتنفس بأنفاسه.

فخلال عامين حدثت أجمل مطاردة حب اصطادت فيها قلبه
وأسقطته غارقاً بالعشق.

لقد كانت حريصة على حصاره الناعم حيث يكون؛ ففي كل
شأن يحضر اهتمامها ورقتها وعطاء مشاعرها؛ حتى
استسلم قلبه المنشغل بالكثير من المسؤوليات ورضخ لها،
حرصت أن تكون قربه وأن يشهد تفاصيل حياتها الكبيرة
بحلوها ومرها كما حرصت تمامًا على حشر نفسها في
حياته الخاصة.

لماذا لم تأخذ ذكرياتها خلفها؟ بل تركتها له إمعاناً في خدعة
الحب العجيبة.

كيف استطاعت الهجر بعد كل تلك الوعود والحب، وكل
ذلك الامتزاج والتقارب بينهما؟! ربما في وقت سابق كان
يشعر ببعض الفخر أنها اختارته من بين عشرات الرجال
حولها ليكون هو حبيبها قائلة له حين سألها لماذا هو: أحببت
قلبك الأبيض.

وماذا بعد؟! لقد حولته إلى قلب دامي.

ربما قبل أن يكتشف ألعابها المحطمة في خزائن قلبها السرية، لفترة طويلة أنعشته فكرة الاصطفاء تلك، فهو رغم تميزه الكبير عن كل زملاء العمل الذي ينتمي كلاهما إليه؛ إلا أنه لم يكن الأنسب من حيث وضعه كرجل متزوج وأب لثلاثة أطفال.

زوج يجتهد طوال يومه من أجل عائلة يجب أن يوفر لها سبل عيش لائق؛ يعاني كثيرًا كي يقوم بواجباته الأبوية والعائلية في زمن لا يترك لك مجالاً لرفاهية قصة حب ناعم متأجج المشاعر، فكل تأجج حياته انحصر في لقمة العيش ومطاردة حلم الحياة الكريمة.

لا.. لم يكن الأنسب بكل تأكيد وإن كان الأجل قلبًا.

ربما لم تكن هي من قامت باصطفائه، ربما لم يكن اختيارها، بل اختارهما الحب كليهما وكان يجب أن يلعبا لعبته المفضلة في الجمع والتفريق ومن ثم التكسير والبكاء على حوائط العذاب.

لقد كانت مطاردة يشوبها القلق والمحاولات الفاشلة لفهم الآخر؛ بين رجل ناضج وضع خطة حياته مسبقًا، وبين شابة تدرس خيارات حياتها الأنسب، حتى سقطت كل الحصون والحواجز وأصبح الحب هو السيد بلا منازع.

وماذا بعد أن احتلت تفكيره واستباحته أروقة أحلامه وأثنت بوجودها قلبه العاري من عشق النساء، فزواجه كان تحصيل حاصل لمرحلة شبابه، يشبه تأدية الخدمة العسكرية لوطنه، كان الزواج واجبًا مفروضًا لمن وصل إلى مرحلة الزواج والاستقرار وتكوين عائلة.

هل وجدت على لائحتها اختيارًا أفضل منه!؟

هل سئمت مطاردة حلوى الحب التي تهديها لقاءات عابرة فيها الكثير من الوعود المستحيلة التحقيق وزهرة الشباب تذبل في غضون سنوات لا تنتظر.

الحلوى! تنهد بحرقة حين بلغت ذكرياته تلك اللحظات المورقة سعادة ودفء لا يصدق إنهما تلاشيا من بين يديه.

كان لقاؤهما الأول منفردين في عزلة حتى عن الإحساس بكل ما حولهما، يومها كطفلة شرهة للحب والحلوى أخرجت من حقيبتها قالب الشكولاتة وقضمت منه قطعة صغيرة وغرزت القالب بين شفثيه لينقسامه قطعة وقبلة..

كانت أذ قطعة شكولاتة وكانت هي الحلوى الألد..

يومها كحلم يراوده كل ليلة اقتربت وطوقته بذراعيها، وأسندت رأسها على صدره المنتفض بالنبض والرغبة، ورفعت وجهها لتطبع على خده قبلة خجول.

تنهد بحسرة ووجع..

كم يعشق البشر تعذيب أرواحهم بقصص الحب المخنوقة
بالمستحيل؟

لكنها كانت فورة عاطفية وانتهت..

لقد أبلغته أنها يجب أن يقطعاً هذه العلاقة، فضميرها
استفاق بعد أن شعرت أنها تسرق رجلاً من زوجته وأطفاله.

فجأة استفاق ضميرها!

بعد أن أصبح مصلوباً على خشبة عشقها، يطفو بهذه الخشبة
بين الأمل والرجاء أن تبقى له هو.

وابتعدت قاطعة كل سبيل للتواصل بينهما، بل تمادت في
إثارة كل لواعج الغيرة المجنونة التي نشبت في صدره،
وبعد أن كانت ملاذ روحه الآمن، صارت الجحيم بذاته.. لن
يخجل من تذكر أنه بكى ألماً لفقدائها..

فالحب مُوجعٌ كسياط التعذيب، محرقاً بنار غيرة لا تنطفئ.

لم يكن ليستسلم لخسارتها أبداً، ليس من طبائعه الاستسلام
حين تلوح له خسارة أيّ أمر في كل حياته، بل عُرف
بالمثابرة والصبر والسعي برفق ولين حتى يصل لما يريده.

لكنه لم يعد يدرك هل تريده هي؟

فمهما كان الحب جارفاً يعجزنا عن تقبل الخسارة إلا أن فكرة كونها لا تريده يراها مهينة في حقه وموجعة جداً..

هي التي أوقعته في شباكها في غزوة حب كيف ترميه وجراحه تسيل شوقاً واحتياجاً لها، بسببها فقد تركيزه على عمله كثيراً، وصار يعشق وحدته والتأمل في مشاعره هو بالذات لماذا أسرف كثيراً في حبها؟ ولماذا نفضته كأنه لم يكن مبلغ حلمها؟!

لقد رحلت بإصرار أنثى على الرحيل ولم تلتفت، وخلفته كومة ذكريات تطحنها رحي الأيام بلا رحمة أو توقف؛ لبيت قلبه لم يكن أبيض كما كانت تراه، ولم تخطط عليه طلاسم ذكريات تيقظ بعضها بلا رحمة.

(23)

كنت بين الشك واليقين..

هل هذه هي مع تحديثات الزمن الذي يغرقنا في القدم؟!!

لكنها ما زالت شابة، فلمَ بدت مسنة أكثر مما ينبغي؟

ذابلة كزهرة قطفتم ووضعتم في كأس نسيّ قاطفها أن
يسقيها حتى قطرة ماء.

تذكرت أنها أخبرتني أنها مخطوبة لشخص ما قبل سنوات
طويلة.

تحدثنا طويلاً على ذلك العشب الأخضر الذي لا يشبه
داخلها المحترق.

تمت الخطبة ثم سافر للدراسة، ثم للعمل، ثم لا تدري لماذا لا
يأتي؟

سنوات من الانتظار على أمل أن ينهي ما بدأ وأن يفني بوعده
قطع..

عزائي لقلبها الذي أحب بصدق في زمن المحطات المؤقتة
لمترو العلاقات.

لقد انتظرتُه عمرًا كاملاً! الحقيقة أن غياب الحب لا مثيل له!

تنتظره بذات الشغف والحلم وتخلق للقاء آلاف الصور التي
تبقىها على قيد الشوق فقط، فيما هو يتلاشى منها كالهواء في
الفضاء الطلق.

قلت لها: إن من يريدك لن يعلقك على مشجب الانتظار، لن
يركنك تحت طائلة غبار الإهمال.

قلبها هو تلك الجملة التي لم يكتمل فيها معنى، فبقيت رهينة
كل احتمالات النهاية لا هي سؤال ولا هي إجابة، لا هي
حقيقة ولا هي فرضية.

حياتها تشبه قلب الأم وقد تحلق أبنائها حولها وظل فؤادها
فارغاً كتلك الزاوية التي خلت بغياب أحدهم.

كل شيء فيها ينتظر..

ينتظره بصورة غبية لا منطقية؛ تنتظر وكل شيء حولها لا
ينتظر؛ العمر يجري، وهو يبتعد.. والحزن يحل بديلاً عنه.

حتى مراسلاتهما باتت شبه معدومة! يقابل صمته صمتها.

إذا مات الكلام بين اثنين احتضرت بموته مشاعر كثيرة
كانت على قيد العيش.

فالصمت البارد لا يأتي إلا من قلب مشتعل حباً أو لا مبالاة.

الصمت.. ذلك الاتجاه الإجباري في الحب..

حين تعجز عن قول ما بداخلك لمن تحب فتدفنه في صدرك،
وهكذا فعلت.

الأمل هنا ليس سوى إبقاء الحب على قيد الإنعاش من طرف
واحد وما هو إلا تأخير ميت عن الدفن.

أما اليأس فيعتقدك من انتظار الذي لا يأتي وينجيك من
خوض المستحيل.

أن يعتصم بالصمت وأنت تنتظرين منه كلمة تعيدك
للخضوع بكامل رغبتك؛ كلمة فقط كانت كافية أن تقيدك
بوهم الانتظار إلى الأبد.

وبخل عليك بها كأنها ستورده الموت، كيف سيكون سخياً
عليك بشعور صادق؟!

من يدمن الحديث معك عبر الأقمار الصناعية فسيدمنه مع
سبعين أخرى معك.

ستجدينه يسافر إلى كل مكان إلا المكان الذي أنت فيه،
وسيحادث الأخرى بالساعات في أدق تفاصيلهن ولا يجد
وقتاً ليرد عليك.

هكذا الرجل يضع على الرف الأشياء القديمة التي يمتلكها ثم
ينساها.

ومع ذلك لا شيء مهم فاتك يا عزيزتي، صدقيني فالحياة
تأخذ بقدر ما تعطي يمكنك البدء من جديد.

قالت لي: أخشى أن تظل روحي المغفلة مع ذلك الرجل حتى
لو تزوجت وأنجبت..

سأظل في أعماقي انتظره؛ قد لا أكون سعيدة مع رجل آخر
فما ذنبه؟

هكذا نحن البشر كل ممنوع مرغوب.

وعلى وعد ينتهي عمر الكثيرات فالوعد كلمة.

يقول "شارلز ديكينز" الوعد إذا كُسر لا يُصدر صوتاً؛ بل
الكثير والكثير من الألم) كلمة "سوف آتيك" وعد، كلمة "أنا
معك ولن أتركك" وعد، كلمة "سوف نبقى معاً" وعد.

يقول الشرقاوي (إن الرجل هو الكلمة) الوعد كلمة؛ والكلمة
شرف.

(24)

يحتار الرجال في انتقال المرأة من شعور إلى نقيضه خلال دقائق إن لم يكن ثواني!

ويعدون هذه الحالة ظاهرة نفسية عجيبة وغير منطقية، لكن الحقيقة أن تدرج التفكير الحاصل في رأس الأنثى مذهل فعلاً، والاحتمالات التي تضعها لنفسها حول حدث ما يخصها قد تصل إلى سرعة ضوئية لا يستوعبها الرجل.

لعل هذه الرسالة التي كتبتها أنثى مثلاً واقعيٌّ على قدرة المرأة من الانتقال من شعور إلى آخر خلال بضعة أسطر فقط!

- مساء الخير حبيبي.. أسبوع كامل لم أرك أتمنى أن تكون بخير كي أكون بخير.. سمعت قبل أيام في نشرة الأخبار أن المدينة التي تقطن فيها تعج بالمصابين بكورونا.. لم يخطر على بالي حينها سواك؛ كأنك كل سكان هذه المدينة بل كل سكان الأرض بالنسبة لي..

قبل إن مدينتك صارت خاوية من البشر وإن الدولة قد ضربت عليها حصاراً قوياً فلا يخرج منها أو إليها أحد!

لا أدري يا عزيزي كيف ستنمکن من المجيء إلى موعدنا المتفق عليه؟

هل يعني هذا أنك لن تأتي لإتمام الخطبة؟

هل يهون عليك انتظاري وشوقي لك؟

يجب أن تفعل شيئاً فأنا انتظر هذا اليوم بفارغ الصبر؟

تبدو سعيداً جداً بهذا العذر، ومرتاحاً كثيراً ببقائك في منزلكم.

هل يعني هذا أنك غير مهتم لي؛ كنت أعرف أنك تعبث بقلبي فقط.

هل لك يد في هذا الأمر؟!

غير مستبعد أنك قمت بنشر هذا الفيروس لتتخلص مني؟

الآن فقط صرت واثقة من خيانتك لي؛ ما أسرع ما أحببت أخرى أيها النذل وأنا التي أحترق شوقاً لك خلال هذا الأسبوع الطويل.

أني أختنق حزناً وألماً وأتمنى أن تصاب بهذا الفيروس كي تختنق حتى الموت.

صدقني إذا لم يقتلك الفيروس سأقتلك أنا..

(26)

كوكتيل رجل هو ما خرجت به خلال سنوات عمرها في
انتظار أمير أحلامها.

تدهشها ثقة الرجل أنه عرض لا يرفض حال التقدم مهما
كانت نواقصه.

"الرجل لا يعيبه شيء" ليست مجرد عبارة بل مسلمة
مجتمعية سارية المفعول دون انتهاء صلاحية.

سنوات صادفت فيها خلال عملها رجالاً كثيرين استثارتهم
صلابتها وجاذبيتها.

كل رجل يرى في نفسه الصياد الأكثر مهارة لقنص أعجابها
وقبولها.

لكن هي كانت قناصة من نوع آخر.

تقتنص من كل رجل صفة واحدة تعجبها ولا يروقها الباقي؛
ليسقط من حساباتها أي رجل يصادفها.

لديها مشكلة مع الجميع!

لديها حساسية "ما" من ذلك الرجل الوسيم؛ ذلك الجذاب
بطريقة تجعل عاطفة النساء تندفق كصنبور مكسور، فيرش
مشاعره على كل مكان مثل نوافير الحدائق..

أنه نوع ساحر من الوسامة غير الجمال المعروف، لا يعد جميلاً! فالرجال الجميلين كجمال النساء قبيحين جداً في عينيها.

لكنه وسيم على طريقة الرجال فجمالهم في ملامح الرجولة الخشنة.

لكن هذا النوع غالباً ما يكون تافهاً ينقصه شيء ما؛

لذا لا تملك إلا أن تلاحظ هذا الصنف من الرجال بأسف شديد هامسة في نفسها: أنا لا ألوم تفاهتك.. لقد خلقك الله هكذا جميلاً وتافهاً جداً.

لديها حساسية أخرى من الرجل الذكي فمهما كانت درجة وسامته متدنية إلا أن ذكائه سلاح فتاك يقتل ما إن يصب نحو قلب المرأة..

فإذا اجتمع الذكاء مع ملاحاة الجاذبية فلن يكون الناتج سوى غرور مدمر.

الرجل المغرور تبقى نقطة قربك منه هي ذات نقطة بعدك عنه..

جاذبيته تصل لمدى معين يصدك حينها ذلك الانتفاخ المنفر لذاته.

لن تعشقي رجلاً مغروراً فهو يعشق نفسه بقدر كافٍ كثيراً
حد الأنانية.

لديها حساسية غريبة من الرجل الطيب الضعيف؛ إنه خطر؛
خطر مثل الهواء الملوّث تماماً..

يمكنه أن يكون نسيماً منعشاً ثم ينقلب إعصاراً هادراً أو في
أفضل الحالات يحمل لك رائحة تخنقك؛ رائحة خذلان غير
متوقعة.

إنه مخيب للأمال بدرجة لا تصدق حتى إنه من المستحيل أن
يأتي مرة على قياسات حلم تتمناه امرأة.

هي أيضاً لا تحتمل الرجل الغبي، وهذا مرتبط بالوسامة
والجمال الملفت ارتباطاً كبيراً.. مع أنها لا تريد رجلاً غير
وسيم؛ لا تريد أن تكون عقاباً لأحد ليس له ذنب على أي
حال.

ما أصعب أن تجدي رجلاً يستدير له قلبك كاملاً فتحبينه
رغم نقصه حين لا تعرفين نقصك!

في النهاية أصبح كل ما تمنته هو أن تجد رجلاً لتحبه؛ إذا
أحبه قلبها فسيقتنع به عقلها كيفما كان!

لقد كان كل الرجال عابرين في حياتها..

أحدهم فتنها بعقله وذكائه الحاد، والآخر أفت انتباهها صوته
القوي واثق النبرات، وآخر كان وسيماً بطريقة مدهشة.
أحدهم يملك قلب طفل، وآخر كان له شخصية قوية وساحرة.
انتظرت كثيراً أن يتجسد كل هذا في رجل.
انتظرت كثيراً..
حتى فاتها العمر.

(27)

عندما التقيتها في إحدى المناسبات عجزت أن أصدق أنها لم تكن له ولم يكن لها حين أخبرتني بافتراقهما!

كانا كأنما عقد قران روحيهما في السماء وسيلتقيان على الأرض فقط.

وكنت على يقين أن الأرواح خلقت أنصافاً كي تتطابق، وأن هناك من يحيا كلَّ عمره نصف روح قد لا يصادف نصفه الآخر أبداً، لكنه لا يفلته ما إن يلتقيه مهما كان الأمر.

قالت لي: زواج الأرواح لا يكفي، لقد عجز عن التزامات الارتباط فقرر الترك.

استسلامه لقسوة الحياة جعلني أشعر نحوه بالكراهية؛ لم يستطع الارتباط في حدود الممكن والمتاح وفضل الانسحاب كفقير من حب.

الآن هو عاجز عن نسيانها ما دامت تحتل ذاكرته؛ يعذب ذاته المتخاذلة بروئيتها فقط؛ قريبة جداً وأبعد ما تكون، لكنه من قتل بياسه ما وهبت جنونها كله ليعيش.

اعتقد أن فقره أعجزه عن الارتباط بها رغم أن الفقر يصبح أهون بالحب، لكن العاجز الوحيد من لا يقدر على جنون الحب..

وها هي عروس تزف لمن يستحقها وليغرق هو في فثله
وعجزه مدى الحياة..

ما زال في القلب متسعًا لإكمال الحياة بقصة حب خارج
أسوار الذكرى على سبيل الانتقام.

ولقد أحببت مرة أخرى..

منحت قلبها اختيارًا لرجل آخر، منحت تفكيرها وخيالها
وابتساماتها وأشواقها وحتى انتظارها.

صارت لآخر، هي التي رفضت عهر القلوب كثيرًا وتنقلها
من حب لحب، أحببت آخر.

لطالما أيقنت أنها لم تُخلق لسواه، وأنها لن ترى غيره في
رجال الكون كله.

لقد كان القاطن الوحيد على كوكب قلبها فجعله مستعمرة
زرعها حبًا وأحرقها بالفقد.

لقد خذلها، فأحبت بكل الكراهية له، والانتقام من كل ما
منحته إياه حين تركها خلف ظهره كلا شيء.

أحبت من جديد كمن يتعلم السير فوق زجاج مكسور، نثرته
هي في طريقها انتقامًا من هذا المسير.

تتعلم كيف أنه ليس كل الرجال نسخة واحدة، ليس لهم نفس العيون أو الكلمات أو الابتسامة أو حتى القلوب.

وليست كل الذكريات موجعة حين يغرزها الجميع في قلوبنا فهناك من ينتزع الابتسام من وجع الحزن.

لقد أحبت بنصف روح، بنصف قلب، بنصف أنثى.

بنصف عقل.. والحب كله جنون.

(28)

انكسرت في عينيها أسطورة الرجل العايب بقلوب النساء..

الرجل الذي تتيح له ذكوريته انتقاء أنثى بريئة وامتصاص
رحيق مشاعرها والاستغناء عنها كتجربة حب وانتهت.

من قال إن الرجل هو الذي ينتقي ضحيته فقط!؟

يمكن للأنثى أن تنتقي ضحيتها أيضاً من بين عشرات
الرجال الذين يحومون حول أنوثتها فتسقطه بنظرة واحدة،
وتسحق قلبه بلا شفقة أيضاً.

يمكن للأنثى أن تتسلى بقلب رجل وتحطمه، فليس كل
الضحايا نساء.

وليس كل الرجال لهم ضحايا، بل هناك من عبثت بقلبه
امرأة.

يمكنها أن تدعه يتوهم أنها فريسة مطاردة كي تشبع غريزة
كلب الصيد فيه، لكنها في النهاية من اصطادته وحولته إلى
كلب حراسة وفيّ ومخلص.

لكنها كانت ضحية من نوع آخر.

ضحية لتاريخ الحروب المخادعة بين الذئب والنعجة!

فريسة لقصص الرعب بين الرجل والمرأة؛ وتجارب الفشل المقروءة والمسموعة التي حولت أجمل العلاقات إلى حرب لا هوادة فيها.

وحين صادفها الحب حقيقة أجهزت عليه بكل حنكة وجدارة. وقد يكون الحب قصاصًا لذنب أنت لا تعرفه أو ربما تتجاهله.

ولا عجب أن القلب المثخن طعمًا سينسل الحب من أحد ثقوبه الكثيرة ويتلاشى منه للأبد.

لقد مارست عليه كل اختراعات الأنثى لتختبر صدق عاطفته؛ حولت علاقتهما إلى حقل تجريب لكل أسباب الفشل التي نجا منها أكثر حبًا وعاطفة، لكنها خسرت في النهاية ونجا بنفسه.

فقد أرهقه الدلال المسرف والابتزاز العاطفي الذي تمارسه وأوجعه إذلال الحاجة إليها فغادرها دون رجعة.

قالت له حين الوداع: قل إنك لست بهذا الحنان وهذه الروح العذبة كي لا أتألم، لا تجعلني أشعر بفداحة خسارتي لفقدك، قل إنك لست كما أتخيلك كي لا أندم لعمر مضى لم ألتقك أو عمر سيأتي لن تكون فيه.

أنا لا أتق أن الرجال يحبون كالنساء..

الرجال فقط يعشقون امتلاك القلوب، وأنا أردت أن تحبني
كما تحب النساء الرجال، وأردت أن أتركك كما يترك
الرجال النساء.

أردت أن أبقى على مسافة حرص، على حافة حب، على
أهبة بُعد..

أردت ألا أغوص أو حتى أرتوي حبًا لك، أردت فقط أن
أكون مثلك لو أردت أن تكون، وقررت الرحيل.

لكنني وقعت فيك وابتلعتني كبحر من الغموض غاصت فيه
حقيقة أنني أحببتك كلما حاولت أن استردها تعمقت فيك
أكثر..

الآن.. وأنا أقف على أنقاضي بعد أن أحرقت قلبي وأنت فيه،
لن أسامح نفسي فالفقد يحرقني وقلبي يحميك من لسعات هذا
الفقد.

كنت حلمًا وليس في الأحلام سوى مرارة الاستيقاظ.

(29)

تعتقد الزوجة الأولى أنها المالكة الرسمية والمعتمدة للرجل وبمعنى آخر ترى نفسها السكان الأصليين في قلبه وأي زواج ثانٍ له يعد خيانة عظيمة تجتمع لها النساء لإقامة فريضة الدعاء على الزوج الغائب وصب اللعنات على المحتل الغاصب.

لكن لكل قاعدة من يشذ عنها وليست كل النساء محظوظات في هذا الشأن..

لكن الغالبية منهن تحدثن عن تأثير الزواج الثاني في رجالهن تأثيراً قد يشجع الأخريات على المجازفة بنصف شريك في الحياة لتربح النصف الثاني.

كثيرات تحدثن عن ذلك التغيير العجيب في تعامل الزوج معهن، فبعد أن كان ناقماً نكدياً أصبح حملاً وديعاً يُغدق عليها بالحب والحنان ليس بدافع الشعور بالذنب لكن لقناعة متأخرة أن الأولى هي الأفضل والتي تفهمه بحكم العشرة بعكس الثانية التي تمثلت له كمقلب.

غالبًا من تكون الزوجة الثانية في الزواج غير المسبب شرعًا مجرد نزوة عاطفية أو مغامرة لإثبات الرجولة المنحدرة نحو النهاية؛ لذا يكون وبالها على الرجل وليس على الزوجة الأولى.

وأؤكد أن هذا لا يحدث دائماً، فالزواج الثاني حل رباني لكثير من المشكلات المستعصية.

لعل أظرفها أن يكون عقاباً للرجل على رغبته تلك.

فلا غرابة إذا سمعنا عن نساء يدفعن أزواجهن النكديين دفعاً للزواج بأخرى ولو على سبيل أن تقسم المصيبة بين اثنتين فتخف أو على أمل أن يتحسن ويدرك قيمتها ويعود إليها عوداً حميداً.

غالباً تظن المرأة أنها ببقائها على ذمة زوج خفق قلبه لأخرى أنها الوحيدة من تضحى من أجل أولادها.

لكن الواقع يقول إن كثيراً من الرجال يضحون بحقهم في التثنية من أجل أولادهم وحياء مستقرة لهم رغم أن المرأة تصبح أحياناً مشنقة لراحة الرجل.

(30)

الرجال أكثر وضوحًا وصراحة في تعبيرهم عما يرغبونه في المرأة..

يقولونه صراحة ويسعون إليه جهازًا.

يريد الرجل امرأة جميلة مثيرة فاتنة وما تبقى من خصال كالذكاء والقوة وبقية الاكسسوارات يترسخ في ذهنه أنه سينميها فيها لأنها أمور ثانوية.

لا يضطر للكذب إلا عند الحصول على الفتاة المرغوبة وحين يجدها يبدأ بأطلاق شعاراته الزائفة كأنه في حملة انتخابية هو المرشح الوحيد والخيار الأوحد فيها.

لكن المرأة مخلوق يكذب فيما يتمنى منذ أول وهلة ربما بداعي الحياء أو العجز عن الوصول إلى الهدف خاصة إذا كانت فتاة متواضعة الجمال.

فالجمال ثقة عمياء في المرأة بعكس الذكاء يعد نقطة في غير صالحها وقديمًا قلتُ النساء الذكيات لا ينفعن عاشقات.

لأسباب كثيرة تُدلي الفتيات بتصريحات عن أوصاف مثالية يرغبنها في الرجل مثل أن يكون قويًا ليحميها أو حنونًا ليحتويها أو كريمًا أو نبيلًا والكثير من الأوصاف الهلامية

التي تنادي بها والتي يفسرها الرجل بأنها تريد كيس نقود لا ينفد.

المرأة عادة تخفي نزعتها لتفضيلها المطلق للرجل الوسيم..

تقع المرأة في عشق الرجل الوسيم وتضفي عليه من رأسها بقية الصفات التي لا تعتبرها ثانوية وهذا هو الفرق بين قناعة الرجل وجشع المرأة..

إن قوة المرأة تكمن في قدرتها على إخفاء اشتهاؤها ومداراة رغباتها؛ لتزداد جمالاً بحيائها، لكن هذا الجمال صار ينتهك بفجاجة الانفتاح وحرية التعبير.

امرأة العزيز شغفها يوسف حباً، إنه العشق لجمال يوسف الذي سلب عقل امرأة عزيز مصر وصوحيباتها اللاتي قطعن أيديهن لظهوره أمامهن..

هذا تأثير وسامة رجل في النساء!

تأثير يجعل بعض الفتيات يخرجن عن طورهن للتعبير عنه والذي يفقدن في النهاية حيائهن والرجل الذي تسعى إحداهن إليه.

هذا التأثير الذي حول امرأة العزيز إلى امرأة قاسية تزج بيوسف في السجن هو التأثير ذاته الذي يحول أغلب النساء

إلى كائنات غاية في الرقة يسيل لطفهن أمام الرجل الوسيم
حد الغباء أحياناً.

(31)

المرأة في عقد الأربعين الشائك بحاجة إلى الحب أكثر من
أي مرحلة في عمرها!

غالبًا تصل المرأة عقد الأربعين زوجةً وأمًا، يشغلها أبنائها
وبيتها حتى لو تشاغل عنها زوجها.

فهي تجد في عائلتها الغذاء العاطفي الذي يزودها بطاقة
تجعلها تتكيف مع مرحلتها العمرية الشائكة.

لكن هناك من تصل عقد الأربعين وحيدة تشعر أنها أضاعت
كل فرص الحب، وأن لها أن تضع قدمها على أول منازل
الآخرة!

يبدأ المجتمع في إخراجها من قائمة المرغوبات، وتبدأ هي
بصرف عاطفتها في شيء أهم من قلب رجل أو من احتياج
العاطفة من أحد.

رغم أنها في هذه المرحلة تكون في أمس الحاجة لمن
يشعرها بالحب والحنان والاهتمام.

فهذا العمر تبدو فيه المرأة كثمرة في أقصى حالات النضوج
استعدادًا لمرحلة العطن والضمور. كزهرة في أوج تفتحها
قبل الذبول.

رغم التغييرات الهرمونية الطفيفة وصدمة ظهور ملامح التقدم في العمر إلا أنها كالرجل تتشبث بملامح الصبا وتعود طفلة كما يعود الرجل مرهقاً.

عقد الأربعين ناقوس الفزع لدى الجنسين وقلة من يرى الأربعين مرحلة عادية لها جمالياتها.

هي في نظر الجميع اكتمال وليس بعد الكمال إلا النقصان؛ هي مرحلة الرشد، والرشد بما يدور في الحياة متعب أيضاً.

فكلا الجنسين يطغى عليه الإحساس بالقلق والشعور بسلاالم النزول تلوح.

إلا أن المرأة تشعر أن هذه المرحلة تمثل نقصاً فيها؛ فيما تراها هي اكتمالاً في الرجل.

فالنساء عامة تفضل الرجل الناضج، مثلما يفضل الرجال صغيرات السن.

كما أن المجتمع ينظر إلى الرجل الذي وصل هذا العمر ولم يتزوج كرجل حكيم عرف كيف ينجو بجلده، وينظر إلى المرأة كمخلوق منكسر غير مرغوب فيه ولم يحصل على فرصته، وفي أحسن الأحوال هي مخلوق فاشل لم ينجح في زواجه.

على المرأة ألا تستسلم لفكرة الخروج من الخدمة العاطفية لمجرد عدم الارتباط أو الفشل في الزواج وأن تنشب بكل فرصة للحياة في ظل الحب الذي لا تشيخ معه الأرواح أبدًا.

فقوام حبها لذاتها أن تكون محبوبية مشعة قد صرفت عن تفكيرها مسألة النهاية المبكرة لحياة كل مراحلها العمرية جميلة.

الحب والاهتمام هما ينبوع الشباب الدائم وأكسير الحياة المتجدد والحب لا يعرف عمرًا محددًا.

فيما مضى كان الشاب يتزوج مبكرًا مثله مثل الفتاة مع وجود ذلك الفارق العمري المفضل بينهما إذا يفضل الرجل العشريني فتاة لم تبلغ العشرين بعد.

كان الشاب المتعلم يتزوج أحيانًا قبل إنهاء دراسته الجامعية أو عقب الثانوية في مجتمعات الحضر أما مجتمعات الأرياف فمعروف أن الزواج المبكر أمر اعتيادي لأسباب كثيرة.

ربما يعود الزواج المبكر للشباب فيما مضى لعدم وجود متع أخرى كالترحال أو سقف طموح مرتفع لأهداف أعلى من فكرة الزواج والحصول على عائلة خاصة.

خيارات المستقبل محدودة أكثرها وضوحًا هو الحصول على حياة مستقرة.

فلم تكن هناك فرص لإيجاد حياة أخرى أو وُجد الانفتاح على العالم بهذا الشكل الحالي ولم تكن فرص السفر والتعليم متاحة هكذا إلا لفئة محدودة جدًا.

لم يكن أمام الشاب سوى الاستقرار واختيار شريكة حياة عن طريق الأم والقريبات، فلا مغريات تلفت الانتباه لأمر أكثر إمتاعًا تحدث في عوالم أخرى.

أما الآن فيشغل ذهن الشاب طموحات أخرى وأحلام مختلفة غير الاستقرار وإنجاب الذرية.

السفر واكتساب خبرات وتجارب حياتية، تحسين وضعه العلمي أو المعيشي.

وخوض مغامرات عوالم واكتشافها، عوالم لا يقيدتها رباط الزوجية، كما أن هناك تخوفًا كبيرًا من تحمل المسؤولية أيضًا أو فكرة الارتباط بشكل عام.

البعض يكون لديه الرغبة في خوض قصة حب تدفعه إلى الزواج دفعًا، فلم يعد زواج البطيخ مغريًا لأحد.

بل ظهر فريق ينادي بالحرية والعزوبية حتى آخر محطة ممكنة ثم يستقل قطار المتأخرين.

وبغض النظر عن غلاء المهور أو الوضع المعيشي أو أي أسباب خارجية عن رغبة الشباب يلاحظ العزوف عن الزواج حتى بلوغ الثلاثين والأربعين وتجاوزها بمحض إرادتهم ورغبتهم رغم تهيؤ الظروف لهم.

يظل الرجل حتى آخر محطة عزوبية يثق أنه مطلوب مرغوب أما المرأة فقد حرص المجتمع أن يطاردها القطار حتى يدهسها في النهاية.

(32)

لا أحد يحب الثرثارين!

لكن امرأة ثرثرة تتجدد حكاياتها الخيالية ومفرداتها اللغوية هي كنز لرجل يحب ثرثرة النساء العادية.

قدرة الأنثى على الخلق والإبداع جزء من كينونتها، واختلاق الصور والخيالات مضمراها الأول.

الرجال لا يكرهون ثرثرة النساء عن ذواتهن وأدق خصوصياتهن، هم يكرهون نوعًا محددًا من الثرثرة تلك التي يضيق لها خناقهم.

تستطيع المرأة الاقتناع أن هناك نوعًا من الرجال يدمن الانغماس في ثرثرة النساء الفارغة بالذات، ولا علاقة لهذا بشهوة الجنس في حين لا يصدق الرجال مطلقًا بوجود المرأة التي لا تحب كثرة الكلام والثرثرة الفارغة!

لا يصدقون وجود امرأة ترمي خلفها كل الأحاديث النسائية ليحدثها كتاب! قد تحدثت نفسها أغلب الوقت وتطيل نقاشها وتكتفي بالصمت والنظرات في حضرة الثرثرة.

ولو اختارت شريكًا في حديث فستتصب حوله الشراك حتى يبادرها الكلام!

على الرجل ألا يتورط بحديثٍ مع امرأة من هذا النوع
سيدمن حديثها العفوي الخالي من المراوغة الشهيرة للنساء،
ورغم أنها لا تلقي الكلمات اعتباطاً لكنها تحتفظ بطفولتها
الأولى.

يفضل الرجل عادةً أحاديثَ النساء الساذجات، فهن لا يحسن
رميَ سهام الكلمات وينخدعن بالبطولات الزائفة لكنه
سرعان ما يشعر معهن بالملل؛ لذا يبدأ بالبحث عن أمور
بصرية تغطي فجوة المتعة.

الثثرة مع امرأة ذكية ممتع، لكنه خطر فكل أسلحة الرجل
ترتد إلى رأسه.

مشكلة الرجل اعتقاده القديم بتفوقه في استحضار ذاكرته
كاملة في حين تثق المرأة الذكية بنصف ذاكرتها فقط.

وما أثق به شخصياً أن تسعة أعشار سحر الكلام يحصده
الرجل الذكي لكنه نادر جداً فيما تحصد تسعة أعشار النساء
سحر الكلام بلا منازع.

نزوات التدفئة..

قال للشاب الواقف أمامه وهو يشعر بفقدان الشغف يتجلى في كلماته وحركاته: يجب أن تحب فتاة ما؛ دواءً سوداويةً نظرتك لما حولك أن تعشق أو فلنقل أن تعشقتك امرأة..

أن تحبك امرأة يمنحك القدرة على أن تحب كل شيء حولك. حتى تلك الأشياء التي لا تحبها ستجد مبررًا لحبها أو كراهيتها؛ أن تحبك امرأة بشغف سيجعلك تحب نفسك أيضًا، بعينها سترى كم أنك جميل ومميز تستحق حياة مجدية.

الحب طاقة يمنحنا إياها الآخرون؛ لذا نحب ونسعى إلى الحب.. باعتقادي هذا ما ينقصك لتدب الحماسة للحياة في عروقك!

ابتسم له الشاب قائلاً: تقول هذا لأن هناك امرأة تنتظرك في البيت لتمنحك هذا الحب وتسعد لسعادتك؛ فالحب سعادة ينبغي أن تمنحها لمن يهبك مثلها.

أصابه الوجوم برهة! امرأة في البيت تنتظره! المرأة التي في البيت تمنحه الشعور بالرغبة في الحب لكن مع غيرها.

يحبها نعم، زوجته وأم أطفاله وقضاياها أجملاً الأيام قبل أن تدب الرتابة إلى حياتهما؛ ليست الرتابة فقط، هناك أيضًا

السنوات الطويلة من الاعتياد، الدهشة أجمل ما في الحب،
والاعتياد حب أقرب للإدمان، لكن الدهشة شغف وجرعة
استثنائية من الدوبامين المحلى. وابتسم لنفسه بدهشة!

كل هذه السنوات جعلته محور اهتمامها؛ يعيش جيداً،
ويمارس حريته بشكل جيد، لكنها فقدت اهتمامها بنفسها؛ لم
تعد تسعى لإبهاره بشيء..

كأنما حياة الزواج تحصيل حاصل لا شغف فيها سوى
بالأبناء ونجاحاتهم.

حتى علاقة الفراش صارت غالباً تأدية واجب تفنقده اللهفة
والحرارة؛ يحتاج كثيراً لمثيرات خارجية كي تستيقظ رغبته
فيها.

لم تعد تهتم بقبلة الفم ولا نظافة فمها؛ القبلة التي يراها مفتاح
العلاقة، تنام قبله وتتركه للسهر وأحاديث الإنترنت الشائكة..

هكذا تصنع النساء بإهمالهن حتى يضيع الرجال منهن في
مزلق العلاقات.

حينها يثقله نحوها شعور ما غير الحب..

يحملة على عاتقه ويتردد صدها في جنبات رأسه؛ شعور لا
يشبه الحب الذي يسمل العيون بالملاحة واللهفة.

لكنه شعور مُلحَّ يسبب له القلق والسهر كالشعور بالحب،
لماذا يقلق حين يحب غيرها؟!!

هل الحب شعور مقلق؟ هو يدرك أن الشعور بالحب ووجود
امرأة تعشقه أجمل الأحداث التي تكررت مرات قليلة في
حياته..

فلماذا يقلق حين يخوض غمار قصة حب؟!!

يعود ذلك لهذا الشعور المبهم الذي يعرفه كثيرًا؛ هذا الشعور
الذي يدوي في قلبه ويصرخ في رأسه..

الشعور بالذنب نحوها..

زوجته الحبيبة أول حب في حياته؛ التي اختارها قلبه وعقله
وتسلمت زمام حياته من يومها وإن ظل قلبه يشرد أحيانًا في
نزوات تنعش روحه من ملل الحياة ورتابتها.

حين يقع في شرك الحب يقتله تأنيب الضمير، يشعر أنها
فطنت لحالة الشغف والانشغال التي تظهر عليه..

تعرف النساء بحاستهن التي تشبه حاسة القطط أن هناك فأرةً
دخلت مصيدة الزوج، فيظهر عليه الاستغراق في ملاحقتها
أو ملاحظتها، تعرف النساء ذلك جيدًا منذ أول وهلة مهما
تفنن الزوج في إخفاء جريمته الممتعة.

فتسارع الزوجة إلى افساد سحر الحب الخفي بصدمة
الانكشاف، قبل أن يصبح الحب ارتباطاً منافساً!

زوجته ضمن قلة من النساء اللاتي يتعاملن بعقل وحكمة مع
أزواجهن.

تجدد اهتمامها بنفسها أولاً، فتزيل كل تلك الجدر التي بناها
الإهمال؛ تعود عاشقة هي أيضاً لذات الرجل الذي تخشى أن
تفقدته.

ربما لأنها تعرفه جيداً؛ تعرف قلبه الضعيف الذي يحرقه
الشعور بالذنب! وتعرف كيف تعيده إلى حظيرة الزواج أشد
حباً وخوفاً من مغامرة تدمير حياته القائمة على وجودها.

أحياناً يشعر أنها تستمتع بمغامرته أكثر منه!

يشعر بهذا حين يسقط على ركبتيه جاثياً أمامها في اعتراف
صريح يسبقه عتاب رقيق منها، فيذرف أمامها دموع الندم
في بكاء صادق..

مقسماً بحياتهما المشتركة أنه سيترك الأخرى التي منحتة
الحب ويتخلى عنها وألا يعود إلى جرم التفكير بها؛
سيزيحها من قلبه مع انزياح الشعور بالذنب؛ سينساها
كمعصية وليس كحب.

فتغدق عليه زوجته بالعتاب والحب والغفران!

لتنتهي زوبعة نزوته بليلة دافئة مليئة بالشبق والشوق وقد
تجددت قصة حبهما الباردة مع كل جريمة حب له ضد
مجهولة.

(34)

أُعرفين تلك الحركة المستهلكة في الأفلام والروايات الرومانسية؛ تلك الحركة التي لكثرة ما دُكرت لم تعد تحدث وإذا حدثت فعلى سبيل التصنع وليس الحب.

أن ينزع الرجل معطفه الذي يرتديه ليضعه على كتف حبيبته وهما يسيران معًا فتلسعهما برودة الجو؟ حسنًا تلك الحركة المبتذلة حلم يمر على فتاة!

لن تتخيلي كم هو مؤثر أن ترتدي معطفًا يحمل رائحة الحبيب الذي فضلك على نفسه واستأثرك بالدفء.

حتى العناق الذي هو جوهر الدفء يبدو أقل سحرًا من هذه الحركة؛ سيكون العناق حينها التماسًا لدفء جسدها، أو رغبة فيها، أما ذلك الفعل فهو إثارة لها بالدفء بدلًا عنه.

هناك أفعال صغيرة قد تُعدُّ تافهة في نظر الرجل لكنها تعني الكثير للنساء..

إنها أدلة قطعية الثبوت على وجود الحب الصادق.

رجل يقدم احتياجه على احتياجه لهو أمر تحسدين عليه، فعطاء النساء دون مقابل من فطرتهن لكن الرجل يأخذ في مقابل أي عطاء.

وجود رجل في حياتك يؤثر على نفسه وجب أن تمنحيه
دفع روحك بالمقابل.

كثيرًا ما يعطي الرجل هدايا مادية تعبيرًا عن عاطفته
والغالبية من النساء يسعدهن هذا العطاء، قلة قليلة تؤثر
العاطفة دون المادة والجميع يرغب في هذين النوعين من
العطاء.

إلا أنه قد تحدث فجوة في مسألة العطاء العاطفي هذا!

فالرجل الذي يبذل الهدايا المادية أو يسرف في الإنفاق يعتقد
أنه بلغ ذروة التفاني في العاطفة في حين تتكر المرأة
اهتمامه وعاطفته!

تبدأ في توصيف عطاءه بالجاف الخالي من الحب وتجد
تفسيرًا لهذه الهدايا لا علاقة له بالعاطفة.

قالت لي إحداهن إنه أهداها مرة أسورة تمثل رمز الأبدية
فكسرتها وحررت يدها من طوق القيد الذهبي الأنيق.

وحين أهداها خاتم يزينه فص على هيئة قلبين ملتحمين رمته
في أحد الأذراج فلم تكن تؤمن بخاتمة أبدية لأي شيء، فقد
خلقنا للموت والفراق.

وحين أهداها سلسلة حول عنقها ينتهي كلا طرفيها بجناحي
فراشة قطعتهما وأطلقت جناحي الفراشة.

فليست كلبته المدللة كي يهديها سلسلة ذهبية تطوق عنقها.
كرهت كل مشغولات الزينة فكلها قيود غالية الثمن.
حتى الأقراط في أذنيها تنتزعها وترميها بعيداً، تذكرها
بقرصاة أذنها كعقاب كلما رفضت أمراً وهي صغيرة.
لم تضع في رجليها خلخالاً ولم ترغب أن تسمع خشخشة
القيد المثير.
لم تكن تمنحها الدفء كل المعاطف والثياب الفاخرة التي
أهداها لها ففي كل مرة شعرت بالبرد كان بعيداً عنها
بمسافة تكفي كي يتضاعف برد الداخل بينهما.
يهبها كل شيء بسخاء لكنه حرما من قربه وهما في بيت
واحد.
أياً كان عطاء الرجل للمرأة تظل أفعال الاهتمام البسيطة
أعلى قائمة الأمنيات المطلوبة.

(35)

لقد تغير الزمن فعلاً! حدثت نفسها بهذا وهي تستمع إلى الرسالة الصوتية في هاتف زوجها بعد أن فتحها وهو في صالة الجلوس حيث يتمدد مسترخياً يشرب قهوة الصباح.

لقد كان أحد أصدقائه القدامى يسأل عنه وعن أخباره وكعادة الأصدقاء القدامى الخبثاء تسربت في حديثه نبرة الحسد وهو يسأله عن سفره الأخير معها!

حدثت نفسها مجدداً: نعم لقد تغير الزمن كثيراً.

فأصداقاه القدامى كانوا هم من عايروه بها وبشخصيتها المتفردة التي شبت عن الطوق كما كانوا يرددون في أذنيه.

لم تعد تتذكر هل شبت عن الطوق أم كسرت الطوق، فكلا المصطلحين يعني أنها كانت مربوطة حول رقبتها كحيوان أليف ينبغي أن يلحق بصاحبه فقط لا أن يتقدمه خطوة واحدة.

لكنها سبقته بخطوات هائلة وصارت علماً يشار إليه بالبنان..

ومع ذلك ما زالت حريصة على أن تظل مربوطة من رقبتها وحبل الطوق في يده!

رغم أنه كثيرًا ما عاد من خارج بيت الزوجية ممثلي الرأس بالضغينة نحوها بسبب ما يصب الرفاق القدامى في أذنيه من عبارات التحريض والسخرية والاستنقاص منه بل تقديم عروض بالزواج من أخرى فهي لم تعد امرأة!

"زوج المرأة" هكذا لخص الأصدقاء وضع الرجل الذي تبرزه زوجته مكانةً أو دخلًا.

بمرور العمر لم تعد تلقي بالألحبروته وهو يشد الحبل كل مرة كي يخنقها مذكرًا إياها بمكانتها كمرأة تسمع وتطيع كلما ارتفع مقامها ومكانتها خارج بيت الزوجية.

تنزل تحت قدميه كزوجة تحرص أشد الحرص على مظهرها الاجتماعي فلا يقال مطلقة! أو يقال كيف ستكون ناجحة وقد فشلت في حياتها الخاصة؟

لا يكون المرء ناجحًا في إقامة مجتمع سليم إذا فشل في حياته الأسرية الخاصة هكذا هي فلسفتها في الحياة.

تنازلت عن أشياء كثيرة كي لا تفشل؛ تحارب نفسها كي تنعم بالسلام في بيتها، يكفيها حروبها السياسية مع الخصوم وهي تتنادى بالعدالة والحرية.

وأتى اليوم الذي يصبح إصرارها على النجاح رغم محاولاتة إفشالها مصدرًا لتفاخره أمام الأصدقاء القدامى ليس حبًا فيها، فبينهما شرخ مهول حفراه معًا بأيديهما.

يمسك طرفي هذا الشق الأبناء الذين كانوا يومًا خططًا لإفشالها من قبله، وقطعًا من روحها سعادتهم هي هدفها الأول.

لقد تغير الزمن كثيرًا!

زوجها لم يعد زوج المرأة أصبح زوج المرأة المحظوظ!

لقد أصبح أشد حرصًا عليها بفضل الأصدقاء القدامى الذين يصبون في أذنيه عبارات الحسد والغبطة أنه زوج فلانة.

لقد كان المظهر الاجتماعي هو بطل الحكاية في كل موقف.

ولقد تغير الزمن فعلاً وكسر الرجال إحدى قواعدهم المتينة والثابتة!

هذه القاعدة تقول "لا تتزوج امرأة تملك صينيًا أكبر من صيئك"

ويندرج تحت هذه القاعدة تفاصيل فرعية كثيرة بحسب أهواء الرجال لكن تجمعها الفكرة السائدة منذ القدم لا تكن زوج المرأة.

الرجال لا يحبون مطلقاً أن يتم التعريف بهم كزوج فلانة صاحبة المنصب أو الشهرة.

لا يحبون هذا النوع من النساء لأسباب كثيرة أكثرها شيوعاً أن كل الناس يعرفونها ولو حتى اسمًا، أما إذا كانت شخصية سياسية وتملك منصباً قيادياً فهذه يخرجونها من قائمة الأنثى لمزاحمتها الرجال.

ماذا يحدث الآن؟!!

أصبح هناك رجالاً يترصدون هذا النوع من النساء بعروض الزواج على مسمع ومرأى من الناس بتفويج الوساطات والتلميح والعرض المباشر، وكلُّ يطمع أن يكون صاحب الحظ زوج فلانة!

بل إن هناك شبابًا يتسابقون للارتباط بالمذيعات والشهيرات صاحبات الأرصدة البشرية والمالية والجمال السافر الذي تهوي إليه الأفئدة بالإعجابات.

لقد أصبحت النساء اللاتي وضعت حولهن دائرة مغلقة سابقاً هن الحلم السري لشباب كثيرين دون مضاضة أنها ذائعة الصيت في مجتمع يرى المرأة عورة.

هذه القفزة النوعية المدججة بالشكوك تجعلنا نشعر بالفرح
للتغيّر في تفكير الرجل الشرقي الذي ظل أسير لفكرة (زوج
المرأة).

لم يعد عارًا أن يقف الرجل خلف المرأة كظل لشهرتها داعمًا
وراعيًا ومرافقًا لسفريات عملها إلى مختلف الدول.

لم يعد يُنظر له كزوج المرأة إلا من قبل قلة قليلة لا تعترف
أن المرأة مثل الرجل يمكنها التفوق في مجالها.

بل إنه قد يصبح محسودًا كثيرًا من آخرين لهذه الفرصة
الذهبية بالزواج من فلانة التي تملك عصا سحرية لتحقيق
أحلامه.

(36)

نسرف نساءً ورجالاً في تعداد مظلوميات النساء لاستدرار العطف عليهن أو التأكيد على أنهن فقط الركن المائل المظلوم الذي تجنت عليه العادات والتقاليد في بيئتنا العربية، وأن الرجل هو القوي المسيطر الخالي من المظلومية من قبل المجتمع والبيئة..

أحياناً يطالعك خبرٌ صادم فحواه رغم التكتم: موت شاب ليلة زفافه بعد تناول حبوب منشطة جنسياً كي لا يفشل في إثبات رجولته ليلة الزفاف!

لا تقل مخاوف الرجل ليلة الزفاف عن مخاوف الأنثى فكلاهما ينتظر حكماً بالإعدام عن الوجود خارج أبواب حجرتهما..

العذرية يقابلها الفحولة وشرف الرجل وكبريائه على المحك. وقد يكون موت الرجل معنوياً أسوأ من الموت الذي تزف له الفتاة أحياناً.

العقل الجمعي يظلم الرجل أيضاً حين يقنعه أن الرجولة هي الفحولة الحيوانية بالدرجة الأولى.

والفكرة السائدة لدى الرجل عن نظرة المرأة للشخص العاجز جنسياً بأنه لم يعد رجلاً تمثل نقطة ضعف مهينة لا تقوم لكرامته قائمة بعدها.

هذه الفكرة استخلصتها الأنثى من عادات البيئة والمجتمع التي تعتبر الفحولة هي مركز القوة والتفوق الوحيدة على المرأة والعجز يعني تساوي الجنسين في التأنيث.

وبما أن العلاقة الجنسية تزيد من قوة العلاقة الزوجية وتمنح الرضا النفسي والجسدي للطرفين فإن غياب هذه العلاقة يمكنه أن يحطم الزواج بصور عديدة.

ورغم أن جميع أسباب الضعف الجنسي لها علاج إلا أن التدمير النفسي يجعل كل الحلول في مهب الريح.

تجد المرأة نفسها هي الركن الأهم في علاج الرجل من هذه الحالة التي تنتابه في مقتبل زفافه أو بمرور الوقت.

قد يعود الضعف الجنسي إلى سببين عضوي أو نفسي؛ أسبابهما ضغوطات الحياة والمعيشة والقلق والخوف والاكنتاب كمسبب ونتيجة في ذات الوقت.

المرأة حينها حجر الزاوية في الحل إما أن تتفهم حالة الرجل وتساعد على تخطي مشكلته بالعلاج والصبر أو التنازل عن حقها الطبيعي بقبول الحياة مع رجل يرى في نفسه

النقص أمامها؛ لتكتفي بالجوانب الجميلة فيه والتي تمنحها الحب والأمان.

وكما يمكن لتفهم المرأة أن يكون سبباً في العلاج يمكن لكلمة جارحة أو نظرة استنقاص أن تقضي على الرجل وتحيله إلى وحش يفتك بها أو ركام ذليل بين يديها.

ما يزيد الأمر سوءاً هو شعور المرأة أن عجز الرجل قد يكون ناتجاً لعدم حبه لها أو عدم قناعته بها فيزداد هجومها عليه غالباً.

يفضل الرجل الموت أو الطلاق أو افتعال المشاكل مع الزوجة والهروب منها على الاعتراف بوجود هذا العجز فيه؛ يلاحقه شعور العار والإحباط وأنه ليس رجلاً كاملاً، والكثير ممن يعاني هذا المرض قد يصل به الحال إلى المرض النفسي أو الانتحار..

هذا القياس الجاهل لرجولة الرجل يمثل معاناة ومظلومية من الاستحالة أن يتحدث عنها الرجل أبداً ولو لأقرب الناس إليه.

العادات والتقاليد تسقط الرجل أيضاً في دوامة من العذاب والألم النفسي، لكن الرجل بطبيعته النفسية التي خلقها الله عليها من التكتّم والانعزال لا يمكن أن يطرح مشاكله الخاصة بكل هذه الحرية التي تمتلكها المرأة.

فقضية الزواج المبكر يمكن أن تطل أحياناً الجنسين لكن
الضحية الوحيدة تحت المجهر هي الأنثى.

نظرة إلى الصبح

(إذا فشلتُم في الحب فلا تتقنوا الكراهية، الحاقِدون لا
ينعمون بالنسيان)

وأنت تقع في الحب لا ترفع سقف توقعاتك ولا تأمل تغيير
الآخر فحبيبك ليس برنامجًا ستقوم بتحديثه وتغيير سماته بما
يلئم احتياجاتك.

يكفي الطرفين وجودُ التوائم العقلي والروحي، ولا يشترط
التطابق يكفي أن ينظر كلاكما إلى الحياة بذات الإدراك
فالتناقض يولد الشقاق ويقتل الحب.

ليكون الحب الذي تقدمه من أجل الحب دون قائمة احتياجات
ينبغي أن تؤديها مشاعر الآخر أمرًا متوقعًا منك.

قد يكون الحب دون تطلعات أو توقعات مؤلمًا كثيرًا؛ لكنه
يظل ذلك الحب الأعمق الذي يهون على البعض قتامة
الحياة.

الأهم من التطابق بينكما هو الوضوح من كليكما.

فأي علاقة قائمة على الوضوح لا يمكن أن تقع في حفر
التكهنات والفهم الخاطئ.

ومنزلق انعدام الثقة.

والثقة هي أولى درجات الحب التي نرتقيها؛ تأتي ربما عبر الوقت أو عبر مواقف تجعلك تجزم أن هذا الشخص محل ثقتك.

أما العلاقة القائمة على "أنت لا تثق بي وأنا لا أصدقك" فهي استهلاك لروح الشخص وصحته النفسية، والأولى الشفاء منها.

إن أجمل ما يمكن تحقيقه في علاقتك بالطرف الآخر هو مقدرتك على إيصال ما بداخلك له فيفهمه بسهولة، بل هذه المقدرة هي جوهر العلاقة ألا تعجز عن إيصال ما تريد إليه دون خوف سوء الفهم أو الالتباس.

خوف طرف من مواجهة الآخر بما في داخله فعلاً أو إخفاء شيء في داخله هو أمر يناقض الشفافية والوضوح التي تتطلبها أي علاقة عاطفية أو حتى عمل.

بل إن هذا الأمر يقر بالفشل لأي علاقة.

قد تنشأ علاقات لا يمكن تسميتها بالحب، هذه المشاعر يمكن تسميتها بالتعلق والاعتیاد.

فالحب في أجمل صورته هو شعور نبيل نحو الآخر يجعلك تريد له السعادة بك ومعك أو حتى بدونك، تريد مشاركته حياتك لكنه ليس حياتك كلها.

أما التعلق فغرغرينا الروح يناقض الحرية تماما؛ تصبح
سعادتك وحياتك مرتهنتان بوجود شخص قد يحطمها في أي
لحظة.

(1)

لا تلموا الأدباء حين يسهبون في الكتابة عن الحب فكأنما هم في صلاة حين يكتبون عنه، لا تستكثروا عليهم صلاتهم وللكارهين كفرهم بالحب.

في ناموس الأدباء الحبيب ليس غاية المحب إنما شعور الحب ذاته.

الانتماء والامتزاج بفكرة الحب ذاتها وليس الحبيب هو الذي ميز عشاقاً بذاتهم وأشهرهم في تاريخ الحب بأكمله.

الحبيب لا يعدو كونه وسيلة لبلوغ ذروة الشعور بالحب.

لذا أحياناً يموت الحب وينتهي في قلوب البعض لأن الوسيلة لم تكن بالشكل المرام.

فيما يصل البعض إلى ذروة العشق والهيام لأن أرواحهم كوسيلة مهياة ذلك.

إنه سر الحب الخفي الذي يدركه كل عاشق..

أن تعشق ذات الحب أكثر من المحبوب ذاته؛ هل هو اختيار لعذاب الحب عوضاً عن حياة هادئة؟

أم أنه سحر الحب بنهايات شقية مرصعة بعذابات وهمية هو
ما يستهوي الأديب كي يحفر أفخاخ الكلمات فيقع فيها بنية
الهرب أكثر؟

اشتفاء المحبوب عاليًا بعيدًا مستحيلًا كغيمات بعثرتها
الرياح العلوية، ليستمد من غيثها غراس حروفه الملتاعة
شوقًا وحنينًا دومًا وأبدًا بلا ارتواء..

الحب يشبه نبتة حبة الفاصولياء التي توصلنا إلى الغيوم
البعيدة خيالًا فقط.

لماذا لم يلتق العشاق في كل الحكايات كي نقرأ نهايات
سعيدة؟

لماذا لم يستقل جبران طائرة مدنية أو حتى حربية وأتى إلى
مي وأنجب منها عشرة أطفال؟

لماذا لم يوافق مالك عم عنتره أن يزوجه عبلة كي يترك
قصائد الحب ويكتب شعر الحكمة وغلاء المعيشة؟

لماذا لم يتزوج قيس من ليلي وكان سيجن من مشاكله
العائلية عوضًا عن جنون الحب.

لماذا تركوا لنا رصيّدًا من يأس الحب؟

ورصيّدًا أكبر وأجمل من ثمرة هذا اليأس؟

مئات القصائد وآلاف الرسائل تقول كم كان هذا الحب
اليأس عذب..

أتذكر أنني قرأت لأحد الشخصوس الذين أومن بكتاباتهم أن
البعد والمنع هما منبع الشغف.

عبارة تقال بكثير من الصيغ وتؤدي ذات المعنى لكن المرء
لا يدركها إلا حين يصدمه الشغف في طريقه.

قرأت أيضاً لـ"كزانتراكيس" وهو يحكي عن شغف زوربا
وكانت خلاصة الدواء الأخذ مما نحب حد التشبع؛ مخالطته
حد النفور.

أو من أن دواء الشغف هو الاقتراب دون حدود حد
الانغماس.

مؤمنة إلى حد ما أنه ينطبق على علاقات البشر؛ على ثقة أن
قيس وليلى وكل سلسلة العشاق الشهيرة لو اجتمع فيها
الحبيبان تحت سقف واحد فلن نشهد لا قصة ولا قصائد
الحب المحروم تلك.

ما إن يقترب الرجل من حبيبته حتى يدرك أنها لم تعد تفتنه؛
لم تعد تلك الحلوى التي تذيب ريقه، وما إن تتعرف المرأة
على حبيبها حتى تدرك أنه لم يعد أسطورتها، لم يعد أميرها
الذي تحلم به.

إن جماليات المحبوب يخلقها خيال المحب ويبالغ في توصيفها فوق الخيال نفسه.

ومع ذلك هناك حبٌّ يمكنه أن يتجاوز كل القناعات؛ نادر الحدوث نعم، فقلما يصادف المرء شبيهه الروحي.

وقد ينتهي العمر والمرء ينتظر ذلك الحب الذي يخرق قوانين السأم والخذلان؛ حبًّا يشبه حب الأماكن؛ يشبه حب الوطن، مهما تعاني فيه، مهما كان قاسياً.. إلا أنه مصيرياً كالانتماء تماماً.

(2)

قالت لي ذات يوم: إذا صادفني الحب ذات عمر فسأترك في قلب ذلك الرجل ثقباً لن تملأه نساء الأرض.

وحين صادفها الحب، ترك ذلك الرجل في عقلها ثقباً لم يملأه أي رجل آخر.

الحب الذي يتسلل إلى العقل قبل القلب يكون أقوى ثباتاً، يصبح أحد مكونات الذات باقياً حتى الموت.

هناك نوع من النساء لن يؤثر فيها الرجل عاطفياً ما لم يبهرها فكرياً.

رجل يصل إلى القلب عن طريق العقل؛ يؤمن العقل به وبكل تفاصيله ليصبح كله صحيحاً بكل نواقصه.

رجل واحد يغير نظرة المرأة في كل الرجال سلماً أو إيجاباً.

يجعلها تبتسم لطيفه حين يلوح في خيالها حتى وهي في غاية السخط والحزن منه.

رجل يثير فيها الدهشة والضحك كلما توغلت فيه.

رجل تورق على يديه الأشجار الميتة وتبادلته الصخور الابتسام.

يختزل في قلبها كل الرجال ويكون الأمان.
ماذا ينقص العالم سوى جمال وجوده؟ ماذا يكمل النقص
سوى حدوته؟!
وحين يظهر يوماً ما يمحو ما قبله من مخاوف وتجارب
المعرفة.
حينها تعتنقه الروح يقينا..
إنه الحب الحقيقي!
ليس مرتبطاً برقم فلا هو الأول ولا الثاني ولا حتى الأخير.
ليس مرتبطاً بعمر أو بحالة أو زمن..
فقط شخص يخرق قلبك ليضيء داخلك والدنيا كلها أمامك.

(3)

ليست الحماسة أن تحب، الحماسة أن تحب من روحه لا تشبه
روحك..

فالحب قيمة تستحق أن تبحث عنها ككل القيم العظيمة التي
نسعى لاكتسابها عن استحقاق.

الحب مرتبط بطهارة القلب ونقاؤه؛ لا يفيض قلبٌ بالحب إلا
إذا ملأه الطهر والصدق.

ولا ينمو الحب في قلب ضيق شحيح، بل يموت اختناقاً
وعطشاً.

إن أقل رواء الحب هي الكلمات العذبة كالغيث فكيف يقتل
الحب الكلام؟

لا يجتمع حبٌ وصمت فالصمت من خيارات العقل حين
يموت الحب.

وكما أن البعد أوسع أبواب النسيان، فالحب يتآكل بالصمت
ولو كان جبلاً شاهقاً.

وللحب رائحة عذبة هي رائحة روحين احتكَّتا بالمعرفة حد
الامتزاج.

حين يحبك الآخر يراك أمانه وطمأنينته والصمت أحياناً
يخيف.

الحب أمان؛ لا حب مع الخوف، الحب الذي تذرف بسببه
دموع الخوف والقلق والحزن وسوء الفهم ليس حباً، إنه
عبودية. الحب حرية ولا خوف مع الحرية.

في مسائل الحب يصبح أعتى الأذكياء أكثر الناس عتياً.

تسلب منك المخاوف قدرتك على التفاهم مع الآخر.

وفي هذه الحياة قد لا تجد شخصاً يحب روحك فقط كما هي؛
ستجد أشخاصاً كثيرين يحبون أشياء يريدونها فيك ومنك.

وكم من أحبة رفدناهم بالحب الخالص فتحوا لنا حساباً
جارياً مع الألم.

(4)

الإحسان في الحب..

أن ترى حبيبك كأنه معك فإن لم يكن معك فهو في قلبك؛
وذلك أعظم الحب، فالحب لا يشترط الحضور أو الغياب أو
القرب أو البعد.

التكافل في الحب..

ليس أن تحتاج فتطلب، أو تُعطى فائضًا فتأخذ.

التكافل أن تحتاج لوجود الآخر كما يحتاج لوجودك، لا
يتفضل أحدكما على الآخر بالبقاء والعطاء.. فرق بين أن
تكفلَ قلبًا أو تكلف به..

الحب الصادق كشجرة سحرية كلما قطع البعد منها غصنًا
نما في القلب ألف جذر، هو الذي يشعرك أنك الأفضل
والأجمل ولا أجمل منك إلا ذلك الذي تحبه.

وأعظم الحب حين يرى الناس قشور رفيقك البراقة فتعجبهم
وترى أنت داخله المظلم وتحبه.

كل شيء يمكننا أن نتعلمه في هذه الحياة كي نعيش إلا الحب
يعلمنا كيف نعيش الحياة، الحب روح خُلق ليصنع الحياة في
الموات.

قلب العاشق يشبه النبتة الضعيفة التي تتقوى بالاهتمام
والحب.

والحب البارد كالشخص الميت وجب دفنه.

إذا غاب الاهتمام بانقشاع سحائب العشق ذبل القلب واصفرّ
ومات كمدًا دون الموت.

(5)

الحبُّ رغم ضعف حروفه وقلتها إلا أنه يدك قلوبًا كالجبال
فينثرها كالهباء خِفة بعد ثقل رسوخها؛ يصبح الحب أثقل من
جبلٍ حين يحمله طرفٌ دون آخر.

مسكين ذلك المَقْصِيُّ عن حق البوح؛ المُبْعَد عن راحة
القلب، يلجم نفسه بنفسه خشية الملامة والصد.

كأنِّي بقلبه يُفْشي الكلمات خفية عن جوارحه فيستردها
ابتلاعًا كالحجارة ندمًا إن بانَتْ في لحظة ضعف فصدّمها
جدار الرفض.

لا هو استردها كأن لم تقال، ولا هو سلم وقع رجوعها على
قلبه الذي استحال غربالًا يقطر منه الندم.

إن أدنى حق للمحب أن يفضي بعشقه تصريحًا أو تلميحًا؛ أن
يبث ما بداخله من جوِّ جائر ولو مغلفًا بالدعابة أو بلحن
أغنية أو بيت شعر يحاكي لوعته.

الحب ثقل إن حمّلتَه صدرك وحدك؛ ثقل على كاهل القلب لا
يورث إلا الألم.

يصبح كائنًا ينمو في داخلك يتغذى من روحك؛ كلما كبر
امتصَّ راحتك أكثر وأكثر.

سينهك هذي الروح إن أسرفت في بذله لمن لا يستحقه.

الحب طفل دائم الشكوى فإذا كبر نبتت له مخالب يمكنها أن تمزق أحشاءك غيرةً وهجرًا فقلّم منها ما استطعت فهي لن تنغرز إلا في فؤادك أنت.

الحب من طرف واحد يميل عليك فيُهلك؛ ويصبح تعلقًا بالوهم فقط.

والتعلق عبودية متسترة خلف لذة الشعور؛ هو في الأصل رق بألوان براقاة أسرة.

رق يربط سعادتك بشخص إن أنعم عليك بالرضا والحضور سَعَدتْ وطابت حياتك، وإن أشقاك بالبعد والرفض أتعسك واستباح راحتك.

رقُّ يكبلك من الداخل بقيود لا تقبض معصميك بل تقبض عصمة تفكيرك فيستبيحها ذلّ التعلق.

إذا وصل قلبك حد الرق في الحب فمن الخير كله أن تبتعد فلم يعذب نفسك سواك.

ولا تلم في الهوى أحد.. عيناك عشقتنا وقلبك الغبي نبض.

(6)

وكما يهبط المطر على صفحة الماء فيقفز لاستقباله هكذا
يكون عناق المشتاق في منتصف المسافة..

من يأس المحب أنه يخلق متعًا في الغياب لا يستطيعها إلا
مجانين الهوى فقط.

فلا يهيب من الغياب حضورًا كثيفًا إلا خيال مجنون؛ ولا
يستعذب غرز الفقد إلا مدمن شوق.

يكفيك من الحب أن ترقّ روحك وتشفّ وتسمو علوًا فتميل
لكل شيء جميل قريب من الكمال.

يكفيك تلك الخفة حين تحملك أجنحة خفية وتتجاوز بك
الهموم بابتسامة رضا، فقلبك عامر بالحب لمحبوب يختزل
وجوده الكون.

يكفيك من الحب ذلك الأمل المرجو يضيء في حنايا روحك
ويمدك بطاقة لا تنضب؛ مخزونها الدفّ في القرب والحلم
بالوصل، والسعي إلى السعادة رغم الصعاب.

يكفيك من الحب نضارة الوجه تلك المسحة السحرية التي
تصنعها نظرات محب لك؛ حين يراك لا شيء يشبهك إلا
نسختك في قلبه وروحه.

سعادة الحب هي الوحيدة التي تفصلك عن الأنانية وتدفعك للبذل والعطاء والتضحية؛ إنه الامتلاء الذي يفيض جمالاً.

الحب هو أكبر عملية تنازل عن الحقوق، فلا تصدق من يبخل عليك بالعطاء..

ألم الحب هو الوحيد الذي يدفعك للغفران والمسامحة والتجاوز عن الأخطاء..

هموم العيش وإحباطات الحياة وانكساراتها قد تحيط القلب بقشرة من القسوة تحجب أحياناً كثيرة تعاطف القلب بما حوله فإذا عشق الفؤاد وأحب تهشمت وتصدعت قشرة القسوة وصار القلب ينبض تعاطفاً وتفاعلاً بما يحيط به، فكل شيء يلامس شغاف القلب الذي رق.

الحب خلاف الكراهية التي تصمّت القلب عن نداء الجمال حولنا.

تحررنا أن نجد السعادة في أشياء بسيطة متاحة لنا كسماع لحن عذب، أو مشاهدة لحظات غروب حاملة، أو متعة البذل لمن لا نعرف ورفع الأذى عن الآخرين أو مدي العون لمن يتعفف.

الحب.. يرفعك مهما تنازلت لمن تحب؛ يرفعك في عينيه وتعلو مكانتك في قلبه.

ولا ضير أن يضع المحب كبريائه تحت قدمي محبوبه
ويخضع له من جناح الحب بساطاً يطأه بقدميه؛ فالحب
تفضيل للآخر حتى في قسوة الشعور؛ حين تأبى على من
تحب حرج الاعتذار فتبادر أنت بالقبول.

وإنما الضير كل الضير أن يتطفل المرء بقلبه على من تخلى
عنه وتجنبه والأولى أن يحفظ كرامة هذا القلب من الابتذال؛
وليدعو بالخير لمن أحب في ظهر الغيب ودون سؤال.

المرء بلا حب ميت بلا قبر؛ أحبوا ما حولكم إن الحب طعم
الحياة.

والقلوب زرع وسقيها الحب، فأحبوا بعضكم كي لا تموت
قلوبكم عطشاً.

(8)

يحدث أن يحيا المرء في هذه الدنيا وروحه في سبات أقرب للموات؛ هامة لا تدرك قدراتها أو نفائسها أو ماهية وجودها إلا أحلامًا تتراءى بلا ملامح أو وضوح؛ أو تكون أقرب إلى المستحيل فالرغبة في خلقها منعدمة.

يلف الروح غمامٌ كثيف لا يهطل مطرًا بل يحجب رؤيتها والنفاذ إليها كما يحجب عنها رؤية ما حولها.

فإذا أحببت اهتزت وربت هذه الروح فتبعث من موتها؛ مولودة جديدة كأنما لم تر الحياة قبلها.

قد تكون مباحثة قدرية على هيئة إنسان أو حدث أو حتى كلمة تضرب عمق الروح كصاعقة.

وربما ذلك الذي بدد غيوم الركود حول الروح حين هطلت على يديه صيبًا نافعًا لم يدر صنيعه ولم ينتظر حبًا أو امتلاكًا..

لربما كان عابرًا كشرارة برق ضربت ما بين المرء وروحه فأضاءت لها الروح طريقًا يسير فيه المرء كل عمره.

هو حدث أقرب ما يكون سببًا لبعث الروح ونفائسها وغيبًا يحيي مواتها فتورق وتزهر وتتسامق علواً ولا تخبو بعدها.

فهل أنت أحببت السبب أم أحببت ما حدث لك من نتيجة؟

هل عشقت ضربة البرق الخاطف التي أشعلتك أم ما تجلى
من خلال سناها من أشياء كانت خفية عنك؟

لا ريب أن عشقك مصبوب لذاتك دون أن تدري وإن كنت
تخاله حب الذي كان سبباً لبعثك، ولا بأس أن تحب السبب
فيه ارتبطت النتيجة لا محالة.

نحب ذواتنا فيمن نحبههم؛ نحب سعادتنا بهم ومعهم.

يظل حب المرء لذاته هو أصدق حب وأثبت؛ حب لا يحتاج
لأدلة ثقة أو إثبات وجود.

ولا أرى أن وجود حبٍ يناقض حب الذات أو يفوقه إلا كان
حباً خالصاً نادراً قلّ أن يكون أو يحدث وهو في قلب الأم
لأطفالها فطرة طبيعية وما سواه فشيء نادر.

فلو صادفت في حياتك قلباً يقدمك على ذاته فهنيئاً لك الحبيب
والأم رؤوم.

(9)

الحب ضرب من الرق، والرجل لا يعشق القيود كالأنثى؛
ولكي يبقى محبًا امنحيه الحرية ولو وهماً..

قد جعل الله الحب شجرة وارفة نبتت حولها أشواك الغيرة
والاستئثار فهي تترتوي من جذور هذه الشجرة وتذود عنها
شعور الاهمال والهجر.

نحن لا نكره وخز تلك الأشواك كلما اعتنقنا الحب لإدراكنا
أنه لولا الحب ما كانت ولولا وهجها الدافئ لماتت بردًا
قصص كانت يانعة.

إن أفعالنا هي اللغة الفصحى التي تعبر عن الحب بأعمق من
أقوالنا وأصدق.

وأجمل هذه الأفعال التي أثمرها الحب هو الاهتمام وأقساها
الغيرة.

وبين فقدان الاهتمام وسعار الغيرة قد تموت مئات المشاعر
بنزاع مؤلم.

إنما لا يحرق شجرة الحب الوارفة وينكل بها كانهدام الثقة
وحلول الشك.

وشتان بين الغيرة والشك.

لعل أتعس العشاق من تمكن داء الشك من قلبه فصار الحب
علته ومرضه بدلاً من جنته ونعيمه، وأتعس منه من وقع
قلبه في هوى من لا يثق به.

يظل عمره تحت طائلة الشك في خيانة محتملة لكنها واقعة
رغمًا عنه في ذهن ذلك المحبوب المعتل قلبه رغمًا عنه.

هذا الحب المنكوب يظل متقدًا حتى يحرق أفئدة المحب
والمحبيب فالشك نار وقودها الحب.

ولعل أسوأ شعور يتملك المرء حينها أنه قبل الحب كان حيًّا
فلما أتى الحب أزهق روحه.

من هنا صار الحب عند أناس نفحة من الجنة وعند آخرين
لفحة من الجحيم.

ولا أجد دواء قد يخفف من اعتلال القلوب بداء الشك إلا
المصارحة والصدق؛ فالوضوح أرضية الحب الثابتة.

رغم أنه لا يعدو أن يكون إلا مسكن يخفف الوجع كي لا
ينفق الحب في أول منزلق.

وإلا فإن علة الشك وعدم الثقة سنتقلانه لا محالة طال الوقت
أو قصر.

إنها تلك المواجهة التي تنتهي بعناق كلما انتصر الحب على
البعد.

أو تنتهي المصارحة ببتير لجزء من القلب ولعل في البتر
الشفاء.

هناك مواقف إنسانية لا يجدي معها سوى أمرين:

عناق أو فراق؛ عناق يقول كل شيء أو فراق ينهي كل
شيء.

والمصارحة خير من تراكم سوء الظن والشك حتى يستحيل
حبلاً غليظاً مفتولاً بالصمت والكبرياء يشنق به براءة الحب
مهما كان كبيراً وعظيماً.

لقد أنقذ انكشاف الأرواح المتقاربة لبعضها كثير من الهنات
التي غزلت شباك الافتراق على غفلة من حسن الظن والثقة.

كما استسلمت أرواح لفقد شطرها لمجرد التمسك بأذيال
الكبرياء والترفع عن ذلّ السؤال والاستفسار عن هنة قد
تصدر من المحبوب فكانت رصاصة الشقاء التي أصابت
قلبين بعنادٍ لواحد منهما.

وأقول ذلّ السؤال لأن الكبرياء الفارغة من مضمون الحب
تراه ذلاً..

وإلا فإن الحب تمام الخضوع والرحمة به ترتفع الحواجز
لتصبح الأرواح أنصافاً تلتصق فلا تدري أيهما هو المحب
وأيهما الحبيب؟!!

فاشلون في الحب أولئك المتمسكون برأس الكبرياء حين لا
يخفضون جناح الذل من الرحمة حين يعشقون.

أرواحهم تتمنى عناق من تحب وكلماتهم تطعن في قسوة؛
خسروا قلوبهم وسكينتهم.

(10)

أتدري ماذا يعني أن تحب شخصًا ما؟

يعني أنه سيكون - في أقل مستويات الحب - كنفسك، وأن تراه كأنت..

و-في أقصى درجات العشق- يكون أعلى وأحب من ذاتك، سعادته هي هدفك وسعادتك.

لكن الشخص صاحب الذات الأنانية لا يستطيع أن يحب أي آخر، فهو مشغول بحب نفسه حد الهوس، وأحيانًا لا يستطيع أن يحبه أي آخر فقد أحب نفسه نيابة عن جميع الخلق.

وحين يختار هذا الإنسان الأناني شريكًا فلأن هذا الشريك في حساباته أحد مصادر راحته وسعادته هو.. ضرورة لا اكتمال راحة ذاته فقط.

فالحب في نظره هو إلغاء الآخر مع حاجته إليه، تجاهل رغباته و راحته وأحلامه وأحيانًا وجوده.

الأناني دكتاتور مصغر يمارس القمع الشعوري ضد شريكه، يصادر حقوقه كمحكوم بحبه لا يحق له التفكير بغير راحة هذا الشريك الأناني.

كما أنه لا يرى عيوب أنانيته أبداً..

يجد أن من حقه أن يكون مدار اهتمام الطرف الآخر بلا منازع، وقبول هذا الآخر بما تجود به نفسه من محبة أو تقدير أو اهتمام أو عطاء.

تم تعريف هذا الحالة بمصطلح "حب الذات" لكنه تعريف يظلم الحب فالحب يتسع ليشمل الآخرين وليس ذات المرء فقط.

هناك من يحب هكذا أرواح نرجسية لكن بمرور فصول العلاقات يتساقط هذا الشعور عن شجرة الحياة فتغدو عارية من الحب.

(11)

القلب الذي يعيش العزلة والانكفاء إذا أحب شخصًا كان صومعته ومعبدته الذي يلوذ به، فإن خذله أو فقده فكأنما تهدم عالمه كاملاً.

عندما يقع هذا النوع في الحب فإنهم يعودون كالأطفال استماتة في التعلق يتشبثون به كإعادة لبدايات العمر أو آخر فرصة في الحياة.

إننا حين نرتبط مع الآخرين في علاقة؛ أي علاقة كانت عمل أو صداقة، أو حب أو زواج فإننا ندرك مزايا وعيوب بعضنا من خلال التعامل.

وكأننا نضع تلك العيوب والمزايا في كفتي ميزان فإن رجحت كفة المزايا كان الحب.

وإن رجحت كفة العيوب كان النفور، وإن تبخرت كفة العيوب كان العشق.

وما العشق إلا وهمّ وخرافة!

نختلقها كي نتلذذ بوجودها سعادة وعذابًا فنضفي على العشق هالة سحرية خارج نطاق العقل ونلزم فعل الحب بالقلب وكأن القلب مرفوع عنه قلم المعقول.

الحب خرافة لذيدة تسبغ على المحبوب مسحة الكمال
ومنتهى الأمنيات؛ ترفعه من خانة البشر إلى خانة
المعبودات تقديسًا وافتتانًا.

حتى يصير تفكر القلب في تفاصيل المحبوب البشرية جاليًا
للهمّ جالبا للسعادة؛ دواء لعلل الروح المتلهفة لخرافة الكمال
فيه.

يتجلى الحبيب لعين المحب حين رؤيته كأجمل مشتهى
للنظر، وسماع صوته نغمة محددة لإيقاظ القلب من هدوء
الرتابة إلى صخب العشق؛ يتراقص له النبض في دقّ
مضطرب كجوقة موسيقية يقودها جنون الاشتياق.
إنه العشق.

من حول خلايا الروح الخفيفة غير المرئية إلى سيل جارف
الشغف نحو ذاك الحبيب.

يكتسح في طريقه علل البعد، وموانع القرب، ولو كان
الوصل على قمة جبل ناءٍ لعلل سيل الروح صاعدًا مخالفًا
كل قوانين الطبيعة وجاذبية الأرض.

تنقبض جفون المحب كلما لاح لها الحبيب وكأنها تضمه بين
جفن وآخر وتدثره بالأهداب وتخفيه عن كل العيون احتكارًا
وتقديرًا لشيء قد لا تراه سوى عين المحب.

الحب خرافة ووهم إلا أنها ألد الخرافات وأكثرها شططاً، قد
اقتصر جحيمها ونعيمها على ذات المحب.

ولا أدلّ من كونها خرافة إلا انكشافها بحدوث المعاشية
فيعود حينها طائر الخيال ويسكن لعش الواقع وتستمر الحياة
بمودة ورحمة وهي أدوم من خرافة العشق.

فالمودة هي القليل الدائم الذي يبقيك على صلة بقلبك وبعقلك
على حد سواء..

(12)

للحبيب نكهة ورائحة لا يستطيع غيرها القلب؛ ليست رائحة الجسد فقط، فرائحة الأجساد يعللها القرب والتعود أحياناً، أما رائحة الأرواح فيصنفها الشعور فقط.

الشم مرتبط بالشعور ارتباطاً البداية والنهاية.

فلحُب رائحة وللذكرى رائحة وللحزن وحتى الموت أيضاً.

أما رائحة الحب في صورته البدائية فشيء يشبه رائحة القبول أو الرفض لدى الحيوانات في حالة الشم في موسم التزاوج.

وفي أسمى صورته، فشيء يشبه رائحة الأم دون غيرها؛ رائحة ابن القلب والأم تتنشقها بقوة.

ورائحة الحب في أجمل حدوث لها هي حالة الشوق حين يطغى لضم من تحب وتنفس رائحته.

يلتقي البشر ببعضهم آفاقاً ويقع القلب في شخص واحد؛ ربما تجمعهم صدفة المكان والزمان ويربطهم ذلك الشعور بالأمان والاكتفاء.

يظنون أن رائحة العطور هي من تجذب الأشخاص لبعضهم لكنها ليست رائحة العطر فنوع العطر متاح للجميع فلماذا قد تحبه في شخص دون غيره.

قد تكون رائحة الجسد حين تخالط ذلك العطر؛ رائحة الروح التي تضيء على الشيء رائحة يشمها القلب قبل الأنف أحياناً.

وكأننا نقتطع من ذكرياتنا مكاناً، ومن خلايا أجسادنا وأرواحنا ركنًا لرائحة من نحب يظل ركنها محفوظًا كجزء منا كل العمر.

وكان للعشاق في الشمّ مذاهبًا يستنشق المحب في الحبيب الأطيّب.

تهمس رائحة من نحب بحديث يصل القلب قبل حديث اللسان تسبقه رائحته لتملاً المسافات شوقاً وحباً.

ويشم الحبيب من بعيد ولو كان قريباً فلن يكفي سوى الضم والتقبيل.

وكمال التودد بين قلبين عناق وقبلة تمزج الاثنين..

والقبلة ليست إصاق الشفتين في الوجه بحركة لا معنى لها، ليست الشعور برطوبة الفم كحركة تعبيرية عن الحب.. القبلة اختراع إنساني تطور عبر الزمن يقال إن موطنه

الأصلي بلاد الرقص والغناء والفلفل الأحمر وكانت ربما طقساً تعديبياً.

تقول أحدث الدراسات أن التقبيل نشأ بديلاً عن الشم!

القبلة تعبير عن العاطفة هي استنشاق رائحة من نحبهم؛ تذوق وجناتهم أو أعناقهم أو رضابهم.. هي أيضاً تعبير عن الامتثال والتقدير.

وحين يقبل الأطفال أهمهم يشمون رائحة الرضا عنهم؛ رائحة الأم التي تغفر وتحب.

القبلة هي القبول بالآخر أو تقبله والرضا به، من المستبعد أن نقبل بالقبلة أيّاً كان؛ القبلة متقبلة فقط ممن نحب ولمن نحب.

والفم نافذة من نوافذ الروح والعبور إلى جوف الآخر ينبغي أن تنبعث منه طيب الرائحة وطيب الكلام، من المستحيل أن تسلّم نافذة روحك لغريب عنك، لهذا لقبلة الفم خصوصيتها العميقة والحميمية بين المحبين.

ينتقل للآخر عبر القبلة كل ما يهيمه عنك؛ فهي اختبار للتجانس وقياس لحرارة الشعور عبر اللمس والشم والحركة.

وجلد الشفاه أرق ما يكون في جسم الإنسان مكتنزة بالخلايا الحسية التي تحفز مشاعر القبول.

وبحسب مكنم القبلة يكون تفسير الهدف فللقبلة معانٍ كثيرة.

قبلة الحبين بما تحمل من تقدير واحترام وقبلة الوجنة والعين بما تحتوي من ود وحب ورفق.

وقبلة الفم والأذن وما تنطوي عليه من رغبة حسية.

دراسات كثيرة أقيمت على رأس القبلة وتأثيراتها على العلاقات والارتباطات تؤكد لك أن التقبيل ليس طقساً عادياً..

فعند الفرس لها دلالات اجتماعية لتحديد الطبقة فتقبيل الفم مباشرة يعبر عن المساواة الاجتماعية أما إذا كانت على الكتف أو الركبة أو طرف الثوب فهي تدل على طبقة الجنود والخدم.

أما الرومان فقد أسموها بقبلة الروح ورغم تحريمها لألف عام إلا أنها عادت رمزاً للحب على يدي روميو وجولييت.

(رسائل الحب)

(منذ هاتس ساعى البريد بيننا تعباً..)

كل الرسائل التي أكتبها صارت بيني وبين سلة المصلاى)

الرسائل التي نكتبها لمن نحب أكثر بكثير من تلك التي تصل إليهم.

فقط لأنها لم ترسل!

كم تشبه العصافير الحبيسة في الصدر تضج بنداى لا يسمعه سوى صاحبها.

رفيف أجنحتها حين تختلج وهي تحلم أن تحلق كم يشبه كثيراً ضربات قلوبنا ونحن نكتبها.. عصافير خلقت بأجحة كسيرة.

بعضها ينزف الماء، والبعض يمطر اشتياًفاً وحنيناً، والبعض يسيل عتاباً.

لكنها تظل عصافير نخشى موتها في قبضة من نحب فندفنها في عمق القلب.

رسائلنا عصافير قلوبنا الحية تموت لبعء مسافات التناى في الفهم والشعور ..

ماذا لو كانت القلوب ترسل.. كم قلبًا سيكسر بالجفاء؟

وأنا أقرأ عذابات غسان في رسائله إلى عادة انتابني الحزن
كأنما أتأمل ضعفه داخلي؛ هذا الضعف الذي يسكن أعماقنا
فتأتي العاطفة لتعريته.

كم كرهت عادة هذه! رغم أنني تمنيت قراءة رسائلها له في
المقابل؛ ربما كانت تحمل بعض من العذاب يخفف عن
القارئ حقه نحوها.

لقد خلصت إلى أن عادة لم تحب غسان كما أحبها، ربما لأن
عقل المرأة شيء عجيب تجدها تتعلق بأغرب الأشخاص
وليس أفضلهم؛ تلهث خلف من يقصدها وليس من يتذلل لها!

أو ربما هو الشعور بالجميل هو الذي قيد عادة بالحب لغسان
فقد أنقذها حين تخلى عنها الجميع.

فالامتنان هو القيد الوحيد الذي يأسرك لعاطفة لا قبل
لجوارحك بها.

ورغم أنني أثق أن الحب الذي يكبلك بداية بالجميل حب له
نكهة الخلود رغم محاولات الهروب منه إلا أن عادة نجحت
في الهروب ولم تشعر بذلك الحب المتمكن من النفس حد
الخلود.

تقول عادة: غسان لم يكن ثوريًا فصاميًا.. كان يحترم ويدعم المرأة فعلاً.

كان هذا كافيًا كي تحبه ناهيك عن روحه الفريدة.

فالأكيد أن هذا النوع نادر بين المثقفين فكلهم يعانون فصامًا حادًا ومزريًا.

في عرضها للرسائل تفاخرت عادة كثيرًا بهبوط ذلك القلب تحت قدميها كما تفاخرت بغيره.

لعلها كانت تراه بعيني أنثى تقيس الرجال بهيئاتهم؛ هو الهش الذي أضعفه النقرس والسكر وخوفه على عائلته.

برأيي أن نشرها رسائله أمر لا يزيد في تعرية غسان للقارئ؛ فقد عرف كل من عاصرها أنه كان يعتصر قلبه على أعمدة الصحف والمجلات حتى إنه سمعهم يتساءلون حتى متى يطاردها لاعقا حذائها؟!!

يا للخيبة!

هذا الحب الجارف يصورك كأنما أنت بحر واخترت أن تسير في مجرى جدول!

لقد خلصت في أعماقي إلى أن أكون ضد رسائل الحب بالذات؛ ضد هذا الانكشاف الموجه والمهين.

لعل رسائل اللعنات والدعوات لمن نحب أقل فداحة وضرراً.
صرت على ثقة أن كل أصناف الرسائل عظيمة لها غاية
سامية إلا رسائل الاعترافات المهينة؛ لذا تدفن مئات
الرسائل الصامتات.

الرسالة الأولى كافية لتقول كل شيء..

دائماً الحديث الأول هو كل شيء وكل ما نقول عقبه هو
لشرحه أو تفسيره أو تعميقه وأحياناً كثيرة نفيه.. أو توصل
الحب المقابل في النهاية.

إنها الانكشاف الأول للداخل..

الخطوة الأولى والوقوع الأول والجرأة الأهم هي الرسالة
الأولى.

كل ما قاله غسان فيها هي عبارة صغيرة "أنا أحبك" قال
فيها كل شيء..

أو كما قال نحن حين نحب شخصاً إنما نصنع لنا ملجأ فقط.
كنت أقول دائماً أن أجمل ما يمكن أن يحدث للمرء أن يجد
من يحبه..

أن يقول لهذا الذي أحب هذه الكلمة التي تشبه الضوء حين
نسلطه على أعماقنا المظلمة.

يكفي أي عاشق أن يقول لمحبيه هذه الكلمة في تجلي يذهله
أولاً؛ أن تكون قادرًا على البوح لمن تحب بما يختلج في
قلبك من مشاعر.. كنت أظنه أمرًا كافيًا!

لكن سعار آخر يفسد الأمر حين يبدأ العذاب والحيرة
والتلهف أن يسمع العاشق هذه الكلمة أيضًا ممن يحب.

إن يكون هناك بوحًا مقابلاً؛ صدى لكلماتك ومشاعرك وليس
كأنك تخاطب جدارًا.

لو أننا نحب دون اهتمام بمبادلة الطرف الآخر؛ دون غيرة
ذابحة! كم سيكون الحب جميلًا وأمانًا ومريحًا!

لكنه يتحول مع الرغبة المحمومة للتشارك إلى وجبة عذاب
نتناولها كل حين حتى التخمة.

ولعلني الآن أقول بعد قراءتي لرسائل غسان: ليس مهمًا أن
تجد شخصًا تحبه أو يحبك المهم أن تجد شخصًا يفهمك
ويقدرك..

شخصًا يحترم عاطفتك؛ بينكما تكافؤ في الشعور، هذا شرط
للحب كما أن لكل ارتباط وشراكة شروطًا، وهذا التكافؤ همُّ
الديمومة فعلا.

تخيل نفسك غسان آخر تطاردك كلاب الغربة والشتات
وهوموم الحياة؛ قد ضاع وطنك وقذفت الحرب في وجهك
جزءًا غير يسير من أثقالها!

تحمل على عاتقك أمانة الكلمة في وجوه جلايدك وتجابه
الخيانة والعمالة في صفوف رفاقك.

لا مكان آمن ولا يسندك سوى صمودك!

كم تحارب من الأحزان؛ تتناوشك الهموم فتحلم بركن تأوي
إليه كي ترتاح من مطاردة الحياة ويأتي قلبك المتقد ليحب
شخصًا لا يفهمه؛ عوضًا عن أن يخفف عنك ما تلاقي ينضم
إلى كتائب أحزانك ويصوب رصاصات كلماته إلى قلبك
ويسابق الجميع ليكون أول من يفتك بك.

تخيل لو واجه اعترافك بالبرود أو أوقف انسيابك تجاهل
المقصود.

تخيل أن يستهان بعاطفتك أو في أسوأ الأحوال تكون محل
شفقة أو سخرية وفي أحسن الأحوال تنشر غادتك رسائل
غرامك لها.

تخيل أن ترسل له قطع قلبك شخصًا يأكلها مثل الطعام
ويستلذ مذاقها!

الحب عاطفة جديرة أن يتخير لها القلب موضعًا كريمًا لائقًا،
وأن يكفيها إذا لم يجد لها القبول الذي تستحقه؛ للقلوب أهواء
وربما من تحبه يحب غيرك.

فعلام يذل المرء كبريائه برسائل العاطفة التي تستحيل إلى
استعطاف؟!!

ما أجمل أن يتوافق قلبان شعورًا وكثافة! يتبادلان الحب
وحتى الألم؛ يكتب الأول سطرًا ويشرح الآخر معناه؛ تصبح
الرسائل أدبًا.. وليس عرائض استجداء باسم الحب.

العجيب أن هذا النوع هو السائد في الرسائل!

فأغلب الرسائل هي نرف من طرف يتوجع، إلى متلقٍ
يتذوق هذا الألم بفرح وفخر.

خاتمة

هل سبق وأن ارتكبت جريمة حب؟

هل بقرت قلبًا بفراغ الرحيل أو التجاهل؟

هل حطمت أبراج الأوهام في صدر لا يعرف أنك تكذب؟

هل يمكنك أن تشعر كأنثى هزمها الكذب المحبوك بعناية؟

وما أطول حبال الكذب التي تشنق القلب؟

ما أكثر العثرات في طريق أظلم بانطفاء الصراحة والثقة؟

هل جربت الخيبة؟

هذه التي تشعل حرائقها كلما أبديت نصحاء لغريق: أن
يحرص أن يطفو جثة.

ربما أنت ضحية!

فهل مرّ عليك عمرٌ قاحل حوّلك إلى نخلة خاوية تطرح
صخرًا كلما هزّ مشاعرها الحب؟

هل قصص الخوف جناحيك كأنثى؟ وعشقت جدران القفص
كحماية؟

الأنتى أحياناً لا تؤمن بالحب كتعويذة تحمي قلبها الهش من
خيانة غدر.

تغدر بقلبها كل يوم بارتكاب الحزن واعتناق اليأس بحلم فات
موعه أكثر من مرة.

قد لا يأتي!

فقياسات الحلم أكبر من حقيقة وأقرب للوهم، والخيال ما زال
يمدد في الحلم.

ما زال القلب يريقة، تزحف في قحط؛ ومتى طار فراشة..
تصطاده مجرد كذبة.

مجوع هذا القلب كشجرة مقطوعة على أحد أرصفة الحب
المزدحمة..

موسوم بالخوف وانعدام الثقة.

لا تؤذِ امرأة تكتب ببراعة.. ستقتلك بين الحروف ألف مرة.

ستفرك دمك بين الكلمات وتقيد وفاتك في سطر..

لا تؤذِ امرأة أحببتك فربما زرعتك في صدرها شتلة ورد.

فتحول حبك إلى قبضة شوك تنزعه بأظافر الحادة.

لا تؤذِ امرأة تثرثر كثيرًا فقد يقتلك صمتها يومًا.

لا تؤذِ امرأة لا تملك لسانًا جميلًا ربما داخلك أقل جمالًا.

لا تؤذِ امرأة لها قلب أم، فالأمهات أرق قلوبًا وأغزر دمعًا وأقرب للصفح.

لا تؤذِ امرأة حزينة، ستنسى كل أحزانها وتصبح إساءتك كل الحزن.

لا تؤذِ امرأة كالطفلة؛ ستموت الطفلة وتشبخ المرأة المأ.

لا تحزن امرأة سعدت بك؛ ستبقى سعادتها المغدورة تعاسة ضميرك.

لا تذبحها بقسوتك فقسوة كلماتها حين ترميها في وجهك ما هي إلا أنينها الضعيف حين تذبح.

وأنت تكتبين عن الحياة والحب وحتى الحزن.

ابتسمي فأنت ربما تزرعين ابتسامة في وجه عابس بكلمة.

أو تنتزعين شهقة من قلبٍ وجد نبضه في عبارة.

ربما تواسين حزينًا، أو تصفعين خائئًا بحرف.

تكتبين الناس وجعًا أو حبًا أو حزنًا أو حتى رأيًا في الحياة.
تمطرين الكلمات في صحراء لم يزرها المطر صيفًا أو
شتاءً.

وأنت تكتبين في محراب الكلمة عن الحب ربما تفتقدين أن
يقال لك كلمة عذبة وتحظى غيرك بقصائد حب مترعة.
أحيانًا تولد الكاتبات الساحرات وتموت ولم تُكتب من أجلهن
قصيدة.

وتبقى كتاباتهن في الحب منارة في أنواء الشقاق والفرق
تهدي كلَّ حبيب إلى حبيبه.
تذكري فقط.. أن السعادة كلمة قد لا تقال لك بل كلمة تكتبينها
أنت.

السعادة ليست رجلًا أبدًا.. السعادة أنت وما تكتبين.

لا تقرئي كثيرًا وأنت في سن صغيرة ستكبرين قبل الأوان
وتتمو أحلامك ولا يتسع لها عمرك؛ إذا قرضت كفأرة
صغيرة كل الكتب التي تصادفك في صغرك لن يكون هناك
حكاية تنير دهشتك حين تكبرين.

لا تدمني الحكايات، فلن تصبح كل فتاة بطلة لرواية بنهاية سعيدة.

فسندريلا كانت فتاة خيال، وفتاة الواقع هي كل سندريلا تفقد قلبها وتعود بالحذاء.

لن تصادفي في حياتك صاحب الظل الطويل لترسلين رسائل الشوق إليه، لا يوجد هنا سوى صاحب اللسان الطويل الذي يختلق ألف كذبة.

أحياناً تصبح دودة الكتب كائنًا يتعذب بلا سبب، فقدت ضبط التوازن بين الخيال والواقع، لا تدري ماذا تريد تحديداً، تخسر بذكائها ما تربهه أخرى بالغباء، تسعى للكمال ولا يوجد في الإنسان سوى النقص.

هذه حقيقة بين كل ما قيل أو كُتب من كذب..

لا تدمني الخيال.



فكرية شجرة

أتعلمين ماذا يعني أن رجلاً يتألم؟
أنت حين يستولي عليك الألم تعتقدينه وفقاً عليك فقط.
رغم أنك قد تتوجعين لكل من يتألم؛
إلا أنك تجحدين ألم ذلك الرجل الذي مسك بوجع.
لا تدركين ألم الرجال كم يبدو صامتاً بدويّ يخرس القلب فلا يبكي أمامك؛
عنيداً في كبرياء؛ خانقاً كغاز مسمم يخترق كل أنسجة الروح ومسامات الشعور.
إنه لا يشبه ألمك حين تملئين الأسماع صراخاً وعويلاً وبكاء؛ لا يشبه حزنك فحزن
النساء كقلوب النساء جميل.
لا يشبه حالك حين لا تطبقين فمك عن الشكوى والتذمر ولو برهة لالتقاط
أنفاسك..
لا يشبه وضعك حين تجدين ألف مشجب تعلقين عليه انتكاساتك واحباطك..
وكل دموعك التي تذرفينها تمسح عن صدرك الضيق والقهر؛ أما صدره فيصعب
فيه سيلاً من الدموع يمتصها بصمت وكبت.
حزن الرجل لا يشبه حزنك، وألم الرجل لا يشبه ألمك.
ألم الرجال كالرجال قايس مسيطرٌ كجبل يدك جبل.
على المرأة تصديق أن الرجل حين يبلغ المنتهى في حبه لامرأة فإن حبه أصدق
من حب امرأة لرجل بأضعاف مضاعفة..
لهذا بلغ الحب لدى قيس وأمثلة حد الجنون.
المشكلة أن الذين يحبون بصدق حد المنتهى نادرون.
الرجال يتوقفون عند الدرجات الدنيا في مراتب الحب ولا يتعداها إلا النادر منهم.
يخافون الألم؛ حذرين وجبناً؛ قد تركوا لك العاطفة وعمقها فأنت أجدر في
التعامل مع الألم.